٥٧٠

570

دار م. النحاس

HARLEQUIN

قلوب عبير

www.elromancia.com

مرمورية

# الجانب المظلم للجزيرة

أدوينا شور

# الجانب المظلم للجزيرة

## أدوينا شور

«هذا هو المكان الذي اعيش فيه واريدك ان تبقي معي هنا..»

عاشت بريوني مع زوجها كايل في جزيرة بارا اجمل ايام عمرها، لكن عملها ابعدها عنه مدة ثلاث سنوات، مع مرور هذه المدة وجدت نفسها تعود الى بارا والى زوجها كايل في منزلهما، لكن الغيرة القاتلة تجعلهما يمران في فترة صعبة جداً... لكن بذكاء كايل جعلها تعلم مدى حبه لها ورغبته بها.

www.elbasaria.com

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

«كان عليك اخبار انك ستخرجين يا بريوني، فأنا لدى أمور أهم لأقوم بها بدلاً من البحث عنك في الطوابق الثلاث حتى يتكلم معك مارتين.»

«هل اتصل مارتين إلى هنا؟»

«عليك ان تتطلبي منه أن لا يتصل إلى هنا مجدداً وذلك في حضوري.»

«كان عليك أنت أن تقول له ما يزعجك في الحال.»

اقترب منها ليحيطها بخصرها وقال لها: «صدقيني هذا ما انوي فعله ان اتصل مرة ثانية ليتحث مع السيدة هايورد في منزل زوجها.»

# ادوينا شور

ادوينا شور كاتبة روايات عاطفية مشهورة تعيش حالياً في بريطانيا. أحبت الكتابة منذ أيام الدراسة وقد كبرت هذه الهواية مع تقدم عمرها حين بدأت السفر للتعرف على الاماكن الأثرية والجميلة. وعندما وصلت الى جزيرة بارا قررت ان تكتب أجمل قصة حب عاشتها في أجمل جزيرة تاريخية في بريطانيا.



٥٧٠

*khouloub Abir 570*

# الجانب المظلم للجزيرة

ادوينا شور

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

# الفصل الأول

اعتقدت بريوني انها رأته عندما حطّت الطائرة الصغيرة على مدرج المطار. كايل...؟ ولكن من غير المعقول ان يكون هو، كايل بوكانان موجود في نيويورك يسوّق كتابه الأخير ومن المفروض ان يسافر بعدها إلى اوستراليا، هكذا اكد لها ديريك ولقد صدّقته، انه شريكها في العمل وهو مصدر معلومات عامة لها ولا يمكن أن يخطىء...

صدمت بريوني من رؤية كايل. وعندما هبطت الطائرة رأته بوضوح. رجل طويل القامة اسمر اللون يقف بين الجموع المنتظرة. ان الرجل الذي بدا لها كأنه كايل هو كايل بنفسه. بدأ قلبها يخفق بسرعة، وأدركت في هذه اللحظة ان زوجها لم يكن في نيويورك بتاتاً كما اعتقد ديريك، ولكنه هنا في بارا، وبعد لحظات قليلة ستكون وجهاً لوجه معه في مقابلة لم تكن على البال، لم تكن تودّ مقابلته بالأخص على جزيرته وفي موطنه.

كيف دعت ديريك يقنعها بالعودة إلى هبرايدس؟ من أجل ماذا؟

جلست في مقعدها في الطائرة واغمضت عينيها وبدون وعي منها قالت بصوت مرتفع: «يا للهول!» حتى ان صوت امرأة اميركية شقراء متوسطة العمر قالت لها وهي تضحك: «انا اعلم كيف تشعرين، انا لم احط في حياتي على شاطىء من قبل.»

ابتسمت لها بريوني ابتسامة من دافع الذوق فقط. ان المرأة لا تستطيع معرفة شعورها. بريوني نفسها لم تكن متأكدة مما تشعر به الآن.

صدمة لم تكن تتوقعها، كانت تشعر بالغضب الشديد من ديريك، نعم ولكنها كانت مستاءة من نفسها اكثر لمجاراته في خططه.

لقد قال لها: «ببساطة يجب ان تذهبي إلى بارا. لأنني اخترتها للقيام بعرض مجموعة هبرايدس. لقد تمت الترتيبات مع المشترين. انها كما تعلمين فرحتنا الكبيرة حتى ندخل سوق اميركا، لذا من المؤكد انك ترين كم هو ضروري بأن تشعري بهدوء المكان حتى تضعي تصاميمك الرائعة.»

هكذا كانت كلمات ديريك لها. كان يتكلم عن مجموعة هبرايدس كأنها موجودة مع انها ليست سوى صور مدهشة في مخيلتها تحتاج إلى ان ترسم على الورق لتتحول إلى مجموعة ثياب جاهزة للدخول إلى السوق الاميركي. كان تفكير ديريك واسع النطاق، فهو ينشط في دراسة اي مشروع ويحضر له قبل الشروع في تنفيذه بوقت طويل، وكل تفكيره يعتمد الآن على تصميمه للظهور في السوق الأميركي وترويج منتوجاتهما هناك.

كان على بريوني الاعتراف بأن فكرته الجديدة باستعمال الشارع الرئيسي في الجزيرة للقيام بمعرضه في نيسان (ابريل) المقبل فكرة ناجحة وعظيمة، لقد كان يوجد في طرف الشارع قصر يطل على البحر يشكل الخلفية الساحرة لعرضه لمجموعته. لقد اقنع ديريك التجار بشراء وطلب المجموعة الجديدة.



أرادت بريوني ان تكون مجموعتها ناجحة كما كان يتمنى ديريك وحتى اكثر، لذا في النهاية وبعد تصميمه واقناعها بأن كايل موجود في نيويورك، وافقت بريوني على السفر إلى جزيرة بارا لأنها المكان المثالي لبدء عملها والقيام بالرسومات هناك. كانت تحب الجزيرة السكوتلندية وبالرغم من كل شيء كانت تنتظر بشوق إلى وضع تصاميم لشتاء مميز من قماش الكشمير والجوخ، تحولهم إلى ثياب مثيرة وحيوية.

بعد ان تفحصت قماش الكاشمير في هاويك في اسكوتلندا امضت اسبوعاً في جزر هاريس ولويس وهي تبحث عن قماش الجوخ المناسب واصبحت جاهزة للقيام بتصاميمها، ولكن بوجود كايل الآن على الجزيرة فإن بقائها مدة اسبوعين غير وارد تماماً. ولم يعد في خاطرها سوى فكرة العودة إلى لندن في الطائرة التالية لو استطاعت الحصول على مقعد في رحلة اليوم إلى غلاسغو، ولم تعتقد أن الحظ سيساعدها لأن الطائرة من لويس إلى بارا كانت مليئة.

«ان هبوطنا على الشاطىء لشيء ممتع.» قالت المرأة الشقراء ذلك وهي تنظر من نافذة الطائرة. نظرت بريوني إليها ثم عادت ونظرت من نافذتها لترى الشاطىء الكبير أو كما يقولون في لغة الجزيرة الغاليك «تريغ موهر».

ان الشاطىء هو المكان الوحيد الواسع في جزيرة بارا حيث تستطيع ان تهبط الطائرة الصغيرة ذات العشرون مقعداً، السواح كثيرون وآلات التصوير كثيرة. انها تستطيع ان ترى

كايل الآن عن قرب، بالرغم من التوتر الذي تشعر به وسرعة خفقان قلبها.

دائماً يحصل لها ذلك... كلما تراه حتى عندما رأته على شاشة التلفزيون. ان انجذابها له بهذه الطريقة شيء لا يصدق، كأنها مسحورة به وبمظهره الجميل الداكن اللون. لقد كان الأمر هكذا منذ البداية منذ لقائهما الأول، أي من حوالي ثلاث سنوات ونصف.

يا للسخرية انها تشعر حياله الآن كما كانت تشعر به من قبل مع ان زواجهما قد انتهى مبدئياً وكم تتمنى لو تستطيع مواجهة الأمر حتى ترتاح.

كان كايل يقف عابساً متوتراً ويبدو اطول قامة من الجمع المحتشد. رفع يده بعصبية حتى يزيح خصلة شعر سوداء عن جبهته وعينيه، فجأة تغيرت ملامح وجهه القاسية عندما ابتسم، كان من عادته ان يبتسم لها عندما يراها آتية نحوه أو عندما يلمحها من نافذة الطائرة، لكنه الآن بالتأكيد لم يلمحها، فهو لا يعلم بقدومها. لكن، ما الذي رآه الآن حتى ابتسم هكذا؟

لم تستطع بريوني ان ترى شيئاً، لذا استدارت عن نافذة الطائرة لترى رجلاً عجوزاً كان يجلس امامها قد تناول حقيبتها الكبيرة الجلدية قائلاً: «سيكون من السهل عليك ان تخرجي ان حملت لك الحقيبة يا ابنتي.» ابتسم لها وظهرت اسنانه القليلة الباقية في فمه، علمت انه من سكان الجزيرة من لهجته، كادت ان تقول له انها تفضل عدم النزول من الطائرة حتى تتجنب رؤية كايل، لكنها شكرته قائلة: «شكراً لك.»



اما الآن فعليها اللحاق بحقيبتها ومضطرة إلى احناء رأسها حتى لا يدق بالسقف المنخفض، لم يكن للرجل العجوز تلك المشكلة بسبب قصر قامته.

استعادت الحقيبة منه وهي شاكرة له صنيعه، واختفت ابتسامتها عندما وطأت الأرض بحذائها ذو الكعب العالي الذي تبلل بالماء، انها غلطة ديريك مرة أخرى، لقد دعاها إلى الغداء حتى يتحدثا عن التصاميم والقماش قبل سفرها إلى بارا، وقد اسرع بتوصيلها إلى المطار في الدقيقة الأخيرة فلم يعد لديها وقت لاستبدال حذائها بحذاء أكثر راحة، ولقد نسيت كل ذلك ولم تتذكره سوى الآن، عندما اضطرت إلى خلعه حتى تسير على الأرض ذات الأصداف المدببة التي تجعل من المستحيل السير عليها بحذاء ذو كعب عالٍ.

وجدت امامها حشداً من الناس ولكنها لم تعد ترى كايل الآن. شعرت براحة وهي تضع حقيبتها أرضاً ثم ذهبت إلى حمام السيدات لتريح قدميها، خرجت بعد قليل وهي تشعر بحال أفضل، وعندما همت بانتعال حذائها مجدداً بعد ان ارتاحت صدمها شخص ما كاد ان يوقعها أرضاً امسكت بالجدار القريب منها حتى تتجنب الوقوع.

فإذا بها تسمع من خلفها صوتاً يقول لها: «في الحقيقة يا بريوني ان منظرك سيىء هكذا وأنت تقفين على قدم واحدة.»

كان كايل يبتسم ابتسامة باردة فرحاً لأنه فاجأها. وقفت تحدق به كأنها لم تحضر نفسها لمقابلته في الدقائق القليلة الماضية. وجدت نفسها تقول مندهشة:

www.elromancia.com

«كايل!» كأنها تتساءل وتلفظ اسمه للمرة الأولى، ثم اضافت: «مرحبا.» ومدت يدها تصافحه مثل الاصدقاء بعد فراق أربعة اشهر.

ترك كايل يدها وهو يبتسم ابتسامة ساخرة اعلمتها بأنه يدرك غضبها وقال مخاطباً الرجل الأبيض الشعر: «أنا آسف يا هنريك، يبدو انني نسيت اصول اللياقة. دعني اعرفك على بريوني... هايورد؟» التوقف بين النطق باسمها وشهرتها كان واضحاً لبريوني لقد لفظ اسم شهرتها وليس اسم شهرته على اعتبار انها زوجته.

كانت بريوني تستعمل اسمها حتى بعدما تزوجت منه، فقط في معاملاتها وعملها ولم يسبق لكايل ان قدمها للأغراب باسمها وشهرتها قبل الزواج.

ثم تابع: «بريوني، اقدم لك البروفسور هنريك بيرجن الذي اتى إلى بارا ليكمل بحثه في لغة الغاليك والمعتقدات والتقاليد والقصص الشعبية.»

إذن كان كايل يبتسم لرجل مسن اكاديمي، ابتسمت بريوني وارتاحت ولكن ليس لفترة طويلة، إذ وهي تصافح الرجل أطلت فجأة فتاة رائعة الجمال وقفت بجانب كايل ووضعت يدها على ذراعه حتى تجلب الانتباه إليها.

استدار كايل ليبتسم لها: «آه ها أنت ايزابيل، كنت اتساءل أين كنت؟ بريوني لا اعتقد انك قابلت ايزابيل ماكلويد، أليس كذلك؟ ايزابيل هذه بريوني هايورد.»

مرة أخرى لاحظت بريوني انه لا يقدمها للناس على انها زوجته، ونظرت إلى الفتاة تتأملها، بدت في حوالي العشرين



من العمر ورائعة الجمال شابة وفتية وكانت قريبة منه لدرجة انها تضع يدها على ذراعه بسهولة وهو لا يمانع، حتى انه لم يطلعها عمن تكون ايزابيل هذه ولم يقدمها إلى البروفسور مما يعني انهما تعارفا قبلاً.

قالت: «مرحبا.» كان صوتها لطيفاً ويبدو انها من سكان الجزيرة مع ان بريوني لم ترها قبلاً، كانت ذات عينين داكنتين وشعر أسود مثل باقي سكان الجزيرة الرائعي الجمال. إنها تشبه كايل... كانا واقفين بجانب بعضهما بكل ألفة وكم كان الشبه مذهلاً، شعرت بقلبها يتمزق في صدرها.

قالت: «مرحبا ايزابيل.» قامت بريوني بمحاولة لتبتسم، هزت الأخرى برأسها من دون ان تبتسم.

لاحظ البروفسور عدم انتعالها حذائها فقال باهتمام بالغ: «عليك انتعاله يا عزيزتي لا بد انك غير مرتاحة هكذا.» هذه الملاحظة جعلت كايل وايزابيل يلتفتان إلى قدميها. شعرت ايزابيل بالاحراج من وضعها وبسرعة انتعلت حذاءها، كانت ايزابيل تنتعل كبقية نساء الجزيرة حذاءً بدون كعب.

خاطبها البروفسور هنريك: «انه شيء جميل ان تحط الطائرة على الشاطىء المائي ولكنه صعب للزائرين، انها زيارتك الأولى إلى بارا يا آنسة هايورد؟»

اجابه كايل: «كلا يا هنريك، السيدة هايورد قد زارتنا مراراً سابقاً، ولكنها هذه المرة قد تأخرت قليلاً مما انساها بدائيتنا، كما ترين يا بريوني اننا لم نتقدم كثيراً مثل الطبقات الراقية خلال الاثني عشر شهراً منذ زيارتك

الأخيرة.» تابع كلامه الناعم الساخر: «ان السيدة هايورد مصممة أزياء في لندن.» كأنه يريد اعلام البروفسور كل شيء عنها.

كانت نظراته على عكس نظرات ايزابيل الصريحة. فقد كان يراقبها من رأسها إلى أخمص قدميها من تحت رموشه ويعلم عنها كل شيء من دون النظر مباشرة اليها، كانت ترتدي تنورة بيضاء قصيرة وجاكيت طويلة فوق قميص أزرق حريري أما شعرها الأشقر فكان معقوصاً إلى الوراء بضفيرة سميكة، ولكن بريوني كانت تعلم ان مظهرها يوحي بأنها من الطبقة الارستقراطية التابعة لمدينة متحضرة، وغير مناسب لمكان مثل هذه الجزيرة وسكانها البدائيون. لقد كانت ايزابيل ترتدي تنورة قطنية عادية مع بلوزة قطنية ملونة بالأزرق الداكن والفاتح.

سألها كايل: «هل مازلت مشغولة كالعادة بالمصنع؟»

أجابت بريوني بإختصار: «نعم.» لأنها لا تريد الاسترسال في التوضيح أكثر.

قال هنريك بيرجن: «هذا عمل مشوق. وهل اتيت إلى بارا لحضور الحفل الذي يقام سنوياً؟»

«الحفل؟» أجابته بريوني وكأنها لم تسمع بالحفل قبلاً، والذي كان سيقام بعد اسبوعين. ثم تذكرت انه احتفال سنوي لثقافة الغاليك التابعة للجزيرة، كانت تعلم به مثلها مثل أي شخص من اهالي الجزيرة وقد حضرته أكثر من مرة واستمتعت بالموسيقى والرقص مع كايل، كما كانت تعلم انه يقام في الاسبوعين الأولين من شهر حزيران (يونيو)



ولكنها نسيت ذلك تماماً. الآن علمت لماذا مقاعد الطائرة كانت مليئة بالسواح. قالت: «كلا انا لم آتي لحضور الحفل.» وترائى لها صعوبة العثور على مقعد خال للسفر إلى أي مكان.

قال البروفسور: «حسناً انا متأكد انك ستستمتعين به. أين...»

لم تعد تستمع إليه، لقد ذهبت ايزابيل لتتحدث مع امرأة بلغة الغاليك وعادت بعد لحظة لتقول فقط لـ كاي: «عليّ الذهاب الآن.» وابتسمت له، كانت ابتسامتها جميلة كما توقعت ولكن الشيء الذي لم تكن تتوقعه هو عدم السرية بعلاقتهما، كأنها والبروفسور لم يكونا موجودين بالنسبة إليها في تلك اللحظة. ان ايزابيل ماكلويد في حالة حب مع كايل...؟ هل هذا ما شعرت به سابقاً وتشعر به الآن؟ لم تستطع ان تنظر إلى كايل لترى وجهه وهو يودعها. لمست ذراعه بيدها ورحلت بسرعة ولباقة إلى حيث تنتظرها المرأة التي كانت تكلمها منذ قليل وصعدت معها السيارة الصغيرة.

ودعها كايل والبروفسور بكل هدوء، ثم استدار كايل نحو هنريك وسأله: «كنت تقول يا هنريك...؟»

قاطعه هنريك وقال: «آه، نعم كنت سأسأل في أي فندق ستحجز الآنسة هايورد، ربما نكون ضيوفاً في الفندق نفسه.»

قال كايل: «السيدة هايورد عادة تنزل عندي.» تكلم بسرعة حتى لا يمنحها الفرصة للإجابة حسب ما تريد.

بدا هنريك مرتبكاً: «آه، آه لقد فهمت.»

الجملة التي تفوه بها كايل جعلت بريوني تحدّق به متسائلة، هل يقترح عليّ المكوث معه بعد أربعة اشهر مضت دون ان اسمع منه كلمة واحدة، كأن شيئاً لم يحصل؟ كأنه لم يتركها ولم يترك زواجه منها ويمضي؟ ايعقل ان انزل في منزل الريف الخاص به؟

قالت بنبرة حاسمة: «كلا ليس هذه المرة، شكراً كايل.» رفضت بكل تهذيب دعوته مبتسمة له أو بالأحرى للبروفسور.

أجابها كايل وهو يبتسم لها بنعومة: «كلا، أنا مصر على دعوتي.»

فجأة بدا التوتر بينهما واضحاً وكان من السهل ملاحظته حتى البروفسور شعر به. لذا قال: «اعذراني سأذهب إلى القاعة لأرى تلك الصدفة وراء النافذة، انها تبدو فاتنة.» ثم تركهما وذهب.

فقالت له معاتبة: «كيف لك ان تحرج صديقك هكذا؟» كانت بريوني ترتجف من الغضب من وقاحة تصرفات كايل.

فقال كايل: «لا المكان ولا الزمان يسمحان لنا الآن بمناقشة أمورنا الخاصة.» ارادت ان تأخذ حقيبتها عن الأرض وتهرب، ولكن كايل كان أسرع منها، فتقدم بسرعة إليها ومنعها من ذلك.

قال: «انا أوافقك الرأي بأن اسبابك لزيارة بارا تعنيك فقط ولكنك بما انك هنا الآن فإن مكانك معي في منزل الريف.» كان صوته بارداً وهادئاً.

لقد تعلم البرودة وهدوء الاعصاب في حل مشاكله في انكلترا واصبحت كل تصرفاته مثل الانكليز ما عدا عندما



يتحدث بلغته الأم الغاليك. على كل حال فهو لا يبدو بارداً بصوته إلا عندما يكون غاضباً.

رفعت رأسها لقد كانت هي أيضاً غاضبة وعنيدة، نظرت إليه بعينين خضراوين يتقدان شرارة وتأملت عينيه الزرقاوين الداكنتين ثم قالت: «مكاني... كايل؟»

قال: «بالطبع، مكانك. ومكانك يكون بما انك زوجتي هو منزلي. أنا اعني ما اقوله ولن اسمح لك بالمكوث في أي مكان آخر في الجزيرة.» قال ذلك وكأنه اصدر حكماً لا يتغير ولن يتغير مهما فعلت.

كررت بريوني كلماته: «تسمح!» وتراجعت امام كبرياء وتصرف كايل، لكنها كانت تعلم انها على جزيرته وهي مهزومة امامه. لذا تابعت كلامها: «المظاهر، هذا كل ما في الأمر أليس كذلك؟ كان عليّ إدراك ذلك... لو انني نزلت في أي فندق سيكون انعكاسه سيئاً عليك وعلى سمعتك كسيد مشهور ومحترم على جميع مقاطعاتك وهذا يعني زوجتك أيضاً.» ابتسمت للوجه الصارم القاسي ذو القناع الجليدي ما عدا عينيه المتقدتين بالحرارة.

قال: «حسناً، إذا كنت ترغبين بتوضيح الأمور هكذا.»

ولكن كيف كان عليها صياغة الأمر؟ ان كايل لا يريدها في منزل الريف ولا على الجزيرة ولا حتى في حياته، ولكنها أتت وبما انها مازالت زوجته فمكانها في منزله. كان لديها الوقت لتفكر وتحلل هذه الكلمات، وحين اقتنعت ابتسمت له. وعرف كايل من ابتسامتها بأنها وافقت على اقتراحه.

تغير صوته حين عرف انه انتصر عليها، كما انه في تلك

الظروف عليه ان يبدو عادياً وهادئاً في تصرفاته. فقال لها: «علينا ان نأخذ حقيبتك وثم...» هنا توقف عن الكلام حين سمع هدير محرك وادارا رأسيهما نحو الطائرة التي كان ستقلع إلى غلاسغو.

قالت: «افضل ان اذهب لوحدي وسوف آخذ سيارة أجرة، على كل حال عليّ الذهاب إلى كاستلبي أولاً. عليك ان لا تقلق.» ثم تابعت كلامها بعدما شاهدت ابتسامة ساخرة على وجه كايل: «لا استطيع الهرب منك أليس كذلك؟ ان الطريقة الوحيدة هي السباحة وانت تعلم انني لا اجيدها.» من دون ان تنتظر جوابه او أذنه تناولت بريوني حقيبتها واسرعت نحو القاعة حيث هنريك بيرجن كان موجوداً.

قالت له: «اعتقد ان كايل جاهز للذهاب الآن. سررت بمعرفتك يا بروفسور.» ابتسمت له وذهبت إلى حمام السيدات. كان وجهها شاحباً وأبيض مظهراً بذلك غضبها، وهذا ما كانت تخشاه ان يظهر ألمها الذي وعدت نفسها بعدم إظهاره إلى كايل مهما كان الثمن.

غيرت حذاءها بحذاء مريح أكثر لأن شوارع الجزيرة لا يلائمها الأحذية ذات الكعب العالي وبالأخص منحدرات كاستلبي. واهم ما ستفعله الآن في هذه الجزيرة الصغيرة هي الخروج منها وبسرعة.

سألت عن امكانية سفرها فلم تجد مقعداً سوى يوم الأحد. كما ان سيارتها ستصل من ستورنواي يوم الأربعاء مساءً. لذا ستغادر يوم الخميس بسيارتها صباحاً، هذا يعني انها ستبقى ثلاثة ايام في بارا وثلاث ليالٍ تحت سقف منزل كايل.



ان الباص الذي يقل الركاب والبريد قد رحل منذ وقت كما ان سيارات الأجرة كلها رحلت، ولكن الموظفة الموجودة في مكتب الاستعلامات طلبت لها سيارة أجرة، بقيت بريوني تنتظرها خارجاً لتستنشق الهواء المنعش، لقد تعبت اعصابها من جراء مقابلتها مع كايل. مع انها وافقت ديريك على المجيء إلى بارا ولكنها كانت تعلم ان العودة إلى بارا هو عمل جنوني.

صحيح انها كانت متعرضة لمصادفة كايل في لندن ولكن المظاهر في لندن غير مهمة مثل الجزيرة الصغيرة ولن يطالبها بالمكوث معه مثلما فعل هنا بكبرياء وثقة كأنه حقه الشرعي. كان يعاملها بهذه الطريقة منذ البداية ولكن بريوني لم تكن تعتبر ذلك سوى عاطفة ومحبة منه. ولقد كانت هي تشعر كذلك مثله. عاطفة متبادلة، وهي التي كانت تعتقد انها قادرة على السيطرة على عاطفتها عندما يتعلق الأمر بكايل.

كان الرجل الذي تعرفت عليه بريوني قبل كايل هو ديريك، وكان في الثلاثين من عمره مثل عمر كايل، كان يملك مكتباً ناجحاً لاستيراد الأقمشة، ولقد قابلته في أول عمل لها كمصممة أزياء لدار أزياء مشهورة.

حينذاك اخبرها ديريك انه سيفتتح دار أزياء ويريدها ان تعمل لديه. كان يريد ان يضم مكتبه لاستيراد القماش مع دار الأزياء وكانت فكرته ناجحة. كانت تعلم كم هو مولع بهذه المهنة ولكن على طريقته الخاصة. كانت صحبته عظيمة ومسلية في البداية ولكن طموحه اللامحدود ونشاطه المستمر هو ما جذبها اليه ولكن دون الوقع في غرامه. وقد قاومت جميع محاولاته للتقرب إليها.

بالرغم من هذا لقد أسسا دار الأزياء معاً وكان شيئاً يصعب القيام به لوحدها في فترة قصيرة وفي الوقت الذي دخل فيه كايل إلى حياتها كان دار الأزياء بريوني عمره سنة واحدة وقد اصدر مجموعتين واصبح لديه مكاناً في سوق المملكة البريطانية، اما الخطوة التالية لديريك فكانت اميركا. كان طموح ديريك يشبه طموحها والفرق بينهما كان انها تريد التحدي والسعادة بمهنة ناجحة بينما ديريك أراد الشهرة والمال.

علاقتهما الشخصية بقيت حميمة واستمرا بالذهاب للحفلات معاً. هنا تعرفت على كايل في حفلة لدار نشر في هولندبارك، وتركت ديريك ليعمل على طريقته وهو يحيك الشباك كما يقول أي يتعرف إلى اشخاص مهمين ليستفيد منهم.

تركته ومعها كوب عصير لتقف وسط الزهور الملونة وتنظر من خلال الحائط الزجاجي إلى سماء لندن الحمراء المليئة بالضباب. سمعت صوتاً من وراء ظهرها يقول: «ان السماء سوداء من حيث اتيت ولا تستطيعين وضع دبوس بين النجوم.»

استدارت مجفلة فوقع من الكوب بعض العصير على الأرض.

قال: «لم اقصد ان افاجئك، كنت اظن انك تعلمين انني لحقت بك.»

لم يبتسم وهو يحدثها، لم يكن يعتذر لها. يا له من وجه قاس... هكذا كان انطباعها عنه لأول وهلة عندما رأته في الحفل ومنذ ذلك الوقت لم تستطع ان تبعد نظرها عنه



ووجدته يلاحقها بعينيه، اما الآن وهو قريب جداً منها لم تجد للنعومة في وجهه مكاناً. كان قاسي التعابير أنفه قوي وعينيه الداكنتين تحت حاجبان كثيفان كانتا تنظران اليها من دون ان ترمشان. قال: «كنت اراقبك طيلة المساء، اعتقدت انك انتبهت لي.»

كان يرتدي بذلة داكنة اللون وقميصاً أبيض، كل شيء فيه داكن، شعره أسود، عيناه... ثيابه وحتى تعابير وجهه... كان جذاباً وخطيراً في الوقت نفسه.

قالت معترفة: «نعم.» من دون ان تدعي عدم ملاحظتها له وهو يراقبها.

ابتسامته لصراحتها واعترافها كانت خفيفة. في تلك اللحظة تلاقت نظراتهما واحست بالضياع في كايل بوكانان، الذي كان وكيله ينظم هذا الحفل من اجل توقيع كتابه لمسلسل تلفزيوني اميركي.

بعد مرور سنوات لم تستطع بريوني ان تفهم السبب الذي جذبهما الواحد للآخر في تلك السرعة. بقيا لوحدهما في القاعة يتحدثان حتى انتهاء السهرة عن اشياء لا يتحدثان بها عادة الناس في الحفلات... عن الفايكنيغ وعن تقاليد السكوتلنديين القدامى، واحست بأنها امضت أجمل أمسية في حياتها، لقد رقصا أيضاً على صوت الموسيقى الآتية من الحفل ينتقلان بين النباتات والأزهار. وكان وقع جسده على جسدها كتحول البحر الهادىء إلى عاصفة هوجاء. كانت في ذلك الوقت في سن الثالثة والعشرين ولم تكن تواعد احداً من قبل ولكن مع كايل كانت تشعر بتغيير جذري في وضعها.

كانت الحفلة ليلة السبت وأمضيا باقي ايام الاسبوع مع بعضهما. كان يجتمعان كل مساء في اماكن عامة... مسرح... حفلة موسيقية... عشاء... بالرغم من انها أرادت ان تكون معه لوحدهما. كذلك أراد كايل ولكنهما تحاشيا ذلك ولم يظهر عاطفته نحوها سوى حين كان يودعها عند نهاية السهرة متمنياً لها ليلة سعيدة ويقبلها قبلة صغيرة على وجنتها، خلال الاسبوع بأكمله.

وصل يوم السبت صباحاً من دون موعد سابق وطلب منها ان ترتدي شيئاً مريحاً ودافئاً. كان يود اصطحابها إلى جزيرته بارا.

وصلا عند بعد الظهر بعدما قطعا هيثرو، وغلاسغو. كان الوقت حينذاك شهر كانون الأول (ديسمبر) وطقس بارا بارداً وبدون غيوم، اما الرياح فكانت قوية. وظهرت أمامها التلال سوداء ومنزل الريف على الشاطىء الصخري.

قال لها كايل: «هنا اعيش، واريدك ان تعيشي معي.»

كان كايل يقصد ان تتزوجه أولاً، وهذا ما فهمته فيما بعد.

في تلك الليلة كانت السماء سوداء كما اخبرها كايل ومليئة بالنجوم التي بدت كالخيوط الفضية عندما رأتها من النافذة. كان حبه لها حنوناً وعاطفياً، كان يعلم انه سيظل حبيبها الأول والأخير.

قال لها بلكنة لم تسمعها بريوني من قبل: «تاغول اغام اورت إس توغرادة موداييل.» فسألته تفسير معنى هذه الكلمات.

أجابها: «أنا أحبك أنت يا حبيبتي.» كانت اولى كلمات



بلغة الغاليك التي تعلمتها. بقيا في هذه الجزيرة لمدة أسبوع قبل ان يقرر العودة إلى لندن حيث تزوجا بعد ستة أسابيع.

لو استطاع كايل اقناعها لما كانت تركت الجزيرة أبداً ولا هو. ولو عادت للإختيار لما تركت الجزيرة مطلقاً.

www.elromancia.com

# الفصل الثاني

كانت بريوني تأمل أن يكون سائق سيارة الأجرة غريباً ولا تعرفه أو يعرفها. لكن أملها خاب عندما رأت جيمي ماكتاجرتي أحد جيران كايل هو السائق.

قال لها: «يا للصدفة العظيمة أن أراك مجدداً سيدة بوغانان.» وبدا حقاً مسروراً برؤيتها.

فقالت: «نعم، رائع أن أراك مجدداً.» بعد لحظة حملت حقيبتها ضاحكة من قلبها. كانت تجد صعوبة في فهم لغة الغاليك المعروفة في الجزيرة لذا حاولت القول:«إنه يوم رائع هذا النهار.» كانت تقصد الشمس الساطعة التي تشرق على الجزيرة الصغيرة.

قال لها جيمي مازحاً: «كنت أحاول أن أمتحن لغتك الغاليك فقط.»

شعرت بريوني بالراحة وهي تتحدث مع جيمي في السيارة وكأنها لم تترك الجزيرة بتاتاً. قال: «إلى منزل الريف أليس كذلك؟»

قالت: «كلا جيمي، ليس الآن. عليّ الذهاب إلى كاستلبي أولاً.» أخبرته بسرعة وارتاحت لأنه لم يلاحظ التغيير الذي بدا في نبرة صوتها. بدأ يخبرها عن الولادات التي حصلت في غيابها وعن الأشخاص الذين توفوا معتبراً ان الأمر يهمها ولقد كانت حقيقة مهتمة بذلك لولا وجود بعض الأمور في ذهنها.



قال: «انظري الآن، انهم وراء حواجز التلة في هذا الوقت.» كان ينظر إلى خمس خراف يرعون عند حافة الهاوية من دون راع. حين وصل إليهم مر بالقرب منهم صارخاً فيهم من النافذة مما جعل بريوني غير قادرة على حبس ضحكتها.

كان كل شيء من حولها مؤنساً... جيمي، الخراف المبقّعة... الأكواخ الصغيرة المنتشرة من حولها والمياه الخضراء كالبحيرات الصغيرة من جهة والتلال من جهة أخرى. كانت المناظر محبة إلى قلبها ليس لأنها جزيرة كايل وهي تحبه ولكنها تشعر دائماً أنها عادت إلى موطنها ومنزلها.

بما أنها ستكون المرة الأخيرة لها هنا بدت الأماكن غالية على قلبها وعزيزة. من طريق ترايه موهر في الشمال إلى كاستلبي هناك سبعة أميال. قاد جيمي في الطريق الشرقية حيث يوجد طريقين. إحداها كانت طريق منزل كايل والثانية كانت مليئة بالمنحدرات الصخرية. مرا بالطريق المؤدية لمنزل كايل فأدارت رأسها وحدقت عندها بريوني إلى الأمام.

«ها نحن قد وصلنا.» أعلن جيمي بذلك عندما رأى كاستلبي أمامه كاللوحة الجميلة. عندما نزلا آخر منحدر بدا قصر باغ في البحر وشارع صغير أمامه.

قال جيمي: «لديّ عمل سأقوم به يا سيدة بوغانان ولكني سأكون جاهزاً خلال نصف ساعة إن كنت تستطيعين الانتظار سآتي لاصطحابك إلى المنزل.»

قالت: «شكراً لك أنا بحاجة فقط لأذهب إلى مكتب البريد ثم أتناول فنجان شاي وانتظرك.»

لم تكن تريد شيئاً من مكتب البريد ولا حتى للمجيء إلى كاستلبي إطلاقاً. لقد كان عذراً لتهرب من كايل ولو لدقائق قليلة.

بقاؤها لمدة اسبوعين في الجزيرة من دون كايل قضية مختلفة عن الآن وهو موجود. كانت استطاعت المكوث أينما أرادت دون أن تكون ملزمة بالمكوث في منزله وعذرها كان عدم فتح المنزل بغياب كايل. أما بوجوده في الوقت الحالي في الجزيرة فهي ستحرجه أمام الجميع إن لم تبق في منزله.

تركت الحقيبة في السيارة. لقد أعطت كذبة بارعة ومقنعة بأنها ذاهبة لشراء طوابع من مكتب البريد. ثم بعد معرفة الناس بها الذين التقت بهم وترحيبهم بعودتها، استمرت بسيرها حتى وصلت إلى فندق مبنى على تلة. كانت بحاجة إلى كوب عصير أكثر من فنجان شاي بالأخص بعد مقابلتها مع كايل.

دخلت إلى الحانة وطلبت كوب عصير الليمون ثم خرجت به إلى الشرفة وأخذت تنظر إلى قصر كيزيمل الممتد أمامها على الشاطىء وسط الصخور الناتئة والمنحدرات التابعة لبارا والمتصلة بصخور كاستلبي. من مكان جلوسها تستطيع رؤية الشارع الرئيسي الصغير وتحتها مباشرة ترسو عشرات المراكب.

«هل يعجبك المنظر؟»

نظرت بريوني إلى الرجل الأشقر الشعر الذي تبعها من الحانة والذي يحمل في يده كوباً من عصير الاناناس.

أجابته باختصار وابتسامة دافئة ترتسم على وجهها: «نعم.»



«لا بد أنك زائرة. فأنا لم أرك قبلاً هنا. لقد مضى على وجودي على الجزيرة حوالي الأربعة أشهر. أنا مارتين غون. هل يمكنني الانضمام إليك؟»

اجابته معرفة على نفسها: «بريوني هايورد، نعم تفضل.» ثم تابعت: «لقد وصلت بعد الظهر على الطائرة القادمة من لويس... فقط لبضعة أيام.» ثم سألته: «أنت لست زائراً على ما أعتقد؟» كانت لهجته اسكوتلندية وثيابه عادية وبسيطة، ولا يبدو أنه من سكان الجزيرة ولا يبدو أنه زائر أيضاً.

قال: «أنا أحب أن أعتقد بأنني اتيت إلى الجزيرة بصفة زائر.» ضحك وهو يتابع قائلاً: «لقد أمضيت حتى الآن أربعة أشهر وسأبقى لستة أشهر أيضاً. أنا المهندس المستشار للمشروع السكني الجديد في فيترساي ولقد استأجرت منزلاً هناك لغاية شهر العيد. أين تقيمين؟»

ترددت بريوني قبل أن تجيب وعاد إلى ذهنها جميع مشاكلها ثم تذكرت ما أخبرها به جيمي عن سكان الجزيرة وعن شوني مدير شؤون مقاطعة كايل الذي توفي منذ أشهر قليلة.

فقالت: «أقيم في كوخ عند مقاطعة منزل الريف.»

قال: «منزل الريف؟ إنه حيث يعيش كايل بوغانان أليس كذلك؟»

قالت موافقة: «أعتقد ذلك.»

بدا مارتين محتاراً: «لم أكن أعلم أنه يؤجر الأكواخ.»

ولا حتى كايل. فكرت بريوني بذلك وكادت أن تضحك.

تابع مارتين كلامه: «أنا لا أعرفه ولا أعرف شيئاً عنه. فقط نحيي بعضنا عند مقابلتنا بالصدفة. أعتقد أنه يسلم على الجميع. إنه... من الصعب أن تتعرفي على السكان المحليين.»

كانت بريوني تعلم أنه من الصعب أن يتقبل سكان الجزيرة وجود الزائرين وإن كانت قد استقبلت برحابة صدر لسبب بسيط وهو أنها متزوجة من أحدهم، وهو كايل. أنهت شرب العصير ثم وقفت: «علي أن أذهب، هذه سيارة الأجرة تنتظرني. سرني التعرف عليك يا مارتين.» ثم استدارت لتذهب.

وقف مارتين بدوره أيضاً وسألها باختصار من شدة خجله: «ماذا ستفعلين هذا المساء؟» ثم بعدما نظر إلى خاتمها نظرة سريعة والذي مصنوع من الذهب الأبيض ولا يبدو خاتم زواج تابع: «أقصد، إن لم تكوني مرتبطة بمشاريع أخرى ربما تحبين أن تتناولي طعام العشاء معي هذا المساء.»

نظرت إليه مندهشة. لا بد أن يجد بسهولة الفتاة التي تروق له حتى وإن لم يتقبله السكان المحليون. إنه شاب جميل المظهر ويستطيع أن يجذب إليه النساء بسرعة.

قالت: «هذا لطف منك يا مارتين لكن كلا شكراً. أنا تعبة بعد كل السفر اليوم.» ورافقت رفضها بابتسامة دافئة: «ولكني سأراك حتماً.» قالت له ذلك لأن الجزيرة صغيرة



عرضها خمسة أميال وطولها ثمانية. والجميع يلتقون ببعض لاحقاً أم آجلاً.

أسرعت بالنزول مع أن جيمي كان يثرثر مع أحدهم ولم يكن هناك من داع لسرعتها. وفكرت، ان الوقت يمر ببطء على الجزيرة بعكس ما عليه في لندن.

سألها جيمي: «إلى منزل الريف سيدة بوغانان؟»

أجابته: «نعم شكراً، يا جيمي.»

شعرت بريوني بالتوتر يعود إليها ويزداد كلما اقتربت من منزل كايل.

كان الطريق الذي يوصل إلى منزل الريف وعراً والشاطىء الذي يحاذي المنزل مليء بالصخور والتعرجات.

كان المنزل يتألف من ثلاث طوابق وقد سمي بالريف من كثرة الشعاب الصخرية التي تصله بالشاطىء. ورثه كايل عن والدته الارملة التي تزوجت من رجل اعمال اميركي. وقد امضت بريوني فيه مع كايل أجمل لحظات السعادة والحب عندما اصطحبها معه. لذا المكوث فيه الآن كان صعباً عليها من كثرة الذكريات الجميلة التي مرت بها معه. إنه وضع لا يطاق ولن تستطيع المكوث في هذا البيت مهما توقع كايل منها، وهي لن تعرض نفسها لتلك التجربة.

توقف جيمي أمام المنزل الحجري الرمادي، عندها ظهر كايل في اللحظة ذاتها وكأنه كان ينتظرها أمام النافذة. وقفت تراقبه وهو يدفع الحساب لجيمي دون أن تعارضه كونه زوجها وبالطبع كايل لن يرغب بالمناقشة أمام السائق وهي لا تريد اغضابه بسبب ما ستقوله له الآن.

«لن أبقى هنا، يا كايل.»

قالتها بعصبية بعدما رحل جيمي وسلم حقيبتها لكايل ثم تابعت: «أقصد لن ابقى في المنزل.»

اضافت بعدما رأت عيني كايل يومضان ويلمعان: «لقد قررت البقاء في الكوخ و...»

أجابها ببرودة: «أعتقد أنه من الأفضل مناقشة الموضوع في الداخل.» ودخل أمامها قبل أن تجيبه، ولم يبق لها إلا أن تتبعه.

وضع الحقيبة من يده عند المدخل ثم استدار نحوها وقال: «أهلاً بك في منزلك.»

كان موقفه مزعجاً حتى ابتسامته التي لم تصل إلى عينيه الداكنتين اللتين بقيتا تنظران إليها ببرودة وقساوة. هزت بريوني رأسها لوجودها في مكان لم تكن تحلم أن تعود إليه مجدداً... تحت سقف منزل زوجها حيث لم يرغب كايل بوجودها كما لم ترغب هي بالبقاء.

قالت: «أرجوك كايل لا تصعب علي الأمور. لن أبقى هنا.» كانت نبرة الرجاء واضحة في صوتها وهي تكرر: «لن أبقى هنا.» أضافت محاولة أن تبدو صارمة معه: «لن يكون هناك فرق عندك إن ذهبت إلى الكوخ وبقيت فيه، أليس كذلك؟»

أجابها ساخراً: «فقط خيبة الأمل من حرماني من صحبتك.»

تجاهلت سخريته وقالت: «سأكون مرتاحة في كوخ شوني. أنا... جيمي أخبرني أنه توشي منذ وقت قصير. أنا



آسفة.» كانت تعلم كم كان كايل يحب ويحترم ذلك الرجل العجوز الذي كان يهتم بالخراف ويطلعها على القصص الخرافية عن ماضي بارا.

تقبل كايل تعزيتها له. ثم نظر إليها لوقت طويل قبل أن يقول: «هل تجدين مكوثك هنا أمر لا يطاق؟ حقاً أنت تفاجئيني يا بريوني. كنت أعتقد أنه مهما كانت أفكارك تجاهي وشعورك نحوي سوف تفضلين الراحة الموجودة في منزلك والبقاء فيه.»

كان يشير بيده إلى الغرفة الواقف في داخلها. كانت مريحة وأشعة الشمس تنتشر فيها من خلال النوافذ الموجودة خلف السلالم. وعند الغروب كما هي الحال الآن كانت اللوحات الزيتية وقطع السجاد المعلقة على الحائط تبدو مظلمة وداكنة ولا يصل إليها أي نور.

تذكرت بريوني إمرأة من الضيعة كانت تخبرها أن هذا هو الجانب المظلم من الجزيرة وهكذا كانت تشعر الآن في القاعة مع كايل... في منزل كايل. وتوترت من هذه الصورة المظلمة التي يبدو فيها كايل وقررت انها لن تستطيع البقاء هنا.

كانت تهز رأسها عندما استدارت نحوه: «كلا كايل، إنه منزلك وليس منزلي ولن تجبرني على البقاء هنا.»

قال كايل مردداً: «أجبرك يا بريوني؟ ومنذ متى حاولت أن أجبرك على القيام بأي شيء لا ترغبين به؟ أبداً، حسب معلوماتي، وليس لدي أي رغبة بالمحاولة الآن.» أكد لها ببرودة: «لذا ماذا تقترحين أن تفعلي؟ أن تحملي حقيبتك

لنصف ميل على طريق الماعز والخراف...؟ أو هل تودين أن أحملك وأحمل حقيبتك؟»

قالت: «أنا...»

أجابها: «بالضبط، لم تفكري بالطريقة السخيفة التي ستصلين بها.»

لقد كان كايل على حق. من شدة يأسها للوصول إلى هناك لم تفكر كيف ستصل إلى الكوخ. ولكن هذا الأمر أصبح مشكلة صغيرة الآن عندما علمت أن كايل لن يعارض مغادرتها.

قالت: «أنا لا أود ازعاجك وأنا قادرة تماماً على أن أصل إلى هناك بمفردي. شكراً لك.»

أجابها: «لا أشك بذلك، على كل حال أنا أفضل ألا تحمل زوجتي الحقيبة عبر التلال مثل الخادمة في العصر الفيكتوري. إن كنت مصرّة على الذهاب إلى الكوخ إذن نيل سيصحبك إلى هناك.»

«ولكن لا...»

غادر كايل القاعة من دون أن ينتظر سماع اعتراضها. بقيت بريوني محتارة ولكن مرتاحة. إن موافقة كايل وعدم اعتراضه أينما مكثت والمهم انها ما زالت موجودة على أرضه، كان منطقياً. إنه لم يسألها حتى عن سبب قدومها إلى بارا. هل كان يعتقد أنها تحاول وتسعى إلى مصالحته وعودة المياه إلى مجراها الطبيعي. وهل كان يخبرها بذلك بتصرفاته دون أن يتكلم. ان رفضها العودة في شهر آذار (مارس) الماضي قد حطّم جميع آمالها بالعودة إليه الآن



وبالأخص لأنها لم تسمع منه ولا كلمة خلال الأشهر الأربعة الماضية.

عاد بعد قليل كايل مع مدير أعمال مزرعته وقال لها: «نيل سوف يصحبك الآن.»

قالت بريوني: «مرحبا نيل.»

أجابها ببرودة: «أهلاً سيدة بوغانان.» محيياً إياها بانحنائة من رأسه كأنه لم يسعد برؤيتها. مثله مثل موراغ مديرة أعمال منزل كايل. لقد كانا في خدمة كايل منذ طفولته وحين كانت والدته ما تزال على قيد الحياة. بدا عليه الانزعاج من التدخل بين سيده وزوجته.

قالت: «أنا آسفة للازعاج.» موجهة كلامها إلى كايل. ولقد ندمت حقاً للاحراج الذي سببته: «لو تعطوني المفتاح فقط ولن أزعجكما بتاتاً.»

ردد كايل: «مفتاح! أعتقد أنك تستطيعين الدخول من دونه. لقد غبت لفترة طويلة عنا يا بريوني حتى أنك نسيت أننا لا نستعمل مفاتيح لأبوابنا على الجزيرة.» ذكرها بسخرية. ثم شكر نيل وكأنه انتهى من حديثه ولم يكن عليها سوى الانصراف مع نيل.

أدار وجهه الغاضب وتوجه نحو الممر إلى الصالة الداخلية.

حمل نيل الحقيبة وتوجه نحو سيارة كايل. كان يقود من دون أن يتفوه بكلمة واحدة. وعلى بعد مئتي متر من المنزل استدار نحو طريق فرعية ضيقة كلها حجارة ثم توقف فجأة معلناً ان السيارة لا تسير أكثر من ذلك على تلك الطريق الوعرة.

كان الكوخ يبعد حوالي ربع ميل وعليهما الذهاب مشياً على الأقدام. حمل حقيبتها وسار وهو ما زال صامتاً وتبعته بريوني. وجدت كوخ شوني والباب مفتوح على مصراعيه. هذا ما كان يقصده كايل بقوله انها لن تحتاج إلى مفتاح، ولكنها لم تكن مستعدة للرعب الذي اعتلاها عندما دخلت الكوخ.

وضع نيل الحقيبة على الأرض المصنوعة من ألواح الخشب غير المتراصة بجانب بعضها والشقوق بينها. حاولت بريوني عدم اظهار الخوف والرعب على وجهها من ذلك المكان الكريه. لكن نيل بدا وكأنه ينتظر منها أن تقول له شيئاً مثل: «لا أستطيع البقاء هنا. أرجوك عد بي...»

لكنها قالت: «شكر يا نيل، سأكون بخير هنا.»

تابعت بعدما رأت القلق في عينيه: «أرجوك عد من حيث أتيت، سوف أكون بخير.» حاولت جهدها كي لا تغير رأيها وسيطرت على نفسها لعدم اللحاق به.

كان الكوخ مبنياً في أيام العصر الفائت يتكون من غرفة واحدة أو ما تبقى منها، ولقد توفي شوني فيه منذ شهرين ولكنه من المؤكد أنه تركه قبل ذلك بكثير. لأن السقف كان مهدماً وترى السماء منه وزجاج النوافذ مكسور. كان الكوخ مهجوراً منذ زمن وبحاجة إلى تجديد بنائه.

المتوقع ان تعود إلى منزل الريف حالما ترى الكوخ ولكن عنادها أبقاها مكانها. نظرت إلى الطاولة الموجودة والكرسي الوحيد أمام الموقدة السوداء. لم يكن هناك من



اثاث سواهما. ما عساها تفعل؟ وفكرت، لا بد ان تمضي الليلة هنا فهذا أفضل من أن تمضيها في منزله وتعيد الذكريات الأليمة.

لقد كان كايل مثالاً للعاطفة والحب والحنان معها فيما مضى... لقد ترك بارا من أجلها ومن أجل مستقبلها وعملها مع ديريك الذي يكرهه كرهاً شديداً كما هو الحال مع ديريك تجاه كايل، كان كرههما لبعضهما متبادلاً.

كان اتفاقهما أن يبقيا في لندن لمدة سنتين تتم خلالهما عرض منتوجات بريوني في أميركا. ولكن لم يحصل ما توقعت. لقد امتدت السنتان إلى سنتين ونصف قبل انتقالهما إلى بارا في حزيران (يونيو) الماضي. وذلك مع تصميم بريوني وديريك على الظهور في السوق الأميركي وذياع صيتهما هناك قبل أن تقيم في بارا التي تبعد مئات الأميال عن أقرب مركز للموضة. مما يعني أنه عليها السفر إلى لندن لأسابيع عديدة. وكان هذا ما يكرهه كايل كما هي الحال معها وكانا يعلمان أن علاقتهما لن تدوم على هذا النحو لوقت طويل.

في نهاية شهر أيلول (سبتمبر) عادت بريوني إلى شقة كنسنغتون لتمكث مدة ستة أشهر. لم يعد يهمها السوق الأميركي وأرادت أن تكون بقرب زوجها كما وعدته. ولقد تقبل كايل منها وعدها وسر به. كان يسافر كل اسبوع إلى لندن ليراها ما عدا المخابرات الهاتفية الليلية التي يجريها والتي كلفته ثروة. كان يتحمل كل ذلك لعلمه أن كل شيء سوف ينتهي قريباً في نهاية شهر آذار (مارس).

وكان الأمر سيسير على ما يرام لولا أن ديريك قد قدم لها مشروعاً جديداً في شباط (فبراير) وعقداً لاصدار مجموعة أزياء لليابان مما يجعلها ملزمة بالاقامة في لندن حتى نهاية شهر حزيران (يونيو). لم تكن بريوني سعيدة لهذا العقد فثارت وغضبت.

قال لها ديريك عندها: «إنهم يطلبونك أنت يا بريوني. أليس هذا ما كنت تريدينه؟» عندما طلبت منه احضار مصممة أخرى قال معترضاً: «إنه نجاحك أنت وأنا متأكد أن كايل سيتفهم ذلك عندما تشرحين له أنه لدينا عقد وعلينا تقديم المجموعة.»

كانت بريوني تكره اخبار كايل حتى لا يصاب بخيبة أمل، فهي تفرض عليه ثلاثة أشهر أخرى من السفر. لذا أجلت المناقشة معه اسبوعاً وراء اسبوع. في النهاية قبل انتهاء شهر آذار (مارس) بأسبوعين عرف مايكل لوحده وبطريقة سيئة جداً.

لقد كان يعيدها ديريك إلى شقتها بعد حضورهما عرضاً للأزياء معاً وعلى وشك المغادرة عندما وصل كايل مبكراً بيوم على غير عادته.

قال له ديريك ضاحكاً: «مرحباً يا رجل، لم تقل لي بريوني أنك آتياً من بلاد هبرايدن المتوحشة.» كان يمزح بوقاحة معه.

نظر إليه كايل بكل برودة وناداه باسم شهرته: «سوندرس.» وكم كانت دهشتها كبيرة عندما نظر إليها بذات البرودة والقساوة.

كان عادة يحضنها بين ذراعيه عندما يلتقيان بعد فراق



طويل. وقال: «هل أنا أقاطع شيئاً؟» وكان يبتسم ابتسامة باهتة لئيمة.

أجابه ديريك: «ليس على الاطلاق، ادخل وتصرف كأنك في بيتك. هل أجلب لك شراباً ما؟»

أجابه كايل بصرامة: «أنا في منزلي وقادر أن أجلب الشراب بنفسي في بيتي ان أردت وعندما أشاء.» استدار كايل ثم تابع: «كنت على وشك الرحيل ياسوندرس أليس كذلك؟»

كانت العلاقة بين الرجلين لا تطاق. توجه ديريك نحو الباب ليرحل ثم قال: «نعم، حسناً سوف أذهب إن كنت لا تمانع.» ثم استدار نحو كايل: «آه شكراً لك لبقاء بريوني معي لعدة أشهر أخرى. آه... هل تفوهت بشيء ما كان علي البوح به؟» بعد أن نظر إلى وجه بريوني الذي كان يتوسل إليه بعدم الكلام لكنه تابع دون اهتمام: «كنت أعتقد أنه يعلم بأمر المشروع الذي قدمته لك منذ ستة أسابيع... مجموعة الأزياء التي وعدتني بها يا بريوني. إنها ضمن العقد على كل حال.» ثم رحل من دون أن ينظر إلى كايل الذي كان يحدق ببريوني بغيظ.

قالت: «لم أكن موافقة... أقصد لم أوافق بعد... ليس في البداية. لم أكن سأقوم بذلك من دون أن آخذ رأيك وأناقش الموضوع معك أولاً.» شعرت بريوني بأنها مذنبة.

أجابها: «إذن لقد وافقت على عرضه منذ ستة أسابيع؟» تجاهل شرحها وهز برأسه: «نعم، إنني أرى الآن بوضوح.»

قالت مصححة له كلامه: «لم أوافق ولكن لم يكن لدي خيار.»

قال: «لا خيار لديك سوى إخفاء الأمر عني، أن تكذبي عليّ بخصوص عودتك إلى بارا.»

«أكذب.» اتهامه صدمها فبدأت تضحك بعصبية: «لم أكذب عليك يا كايل. كيف تفكر بهذه الطريقة؟ أنا... أنا فقط لم أعرف كيف أخبرك بأنني لن أغادر لندن قبل نهاية شهر حزيران (يونيو).»

قال لها بلهجة مستهزئة: «لا تستطيعين... أم لا ترغبين يا بريوني؟ هل أنت متأكدة بأنك تنوين المغادرة؟ أو أن ديريك لا يسمح لك؟»

قالت: «بالطبع أريد المغادرة وهذا الأمر لا يعود إلى ديريك. فقد العقد هو الذي يربطني به وهو عقد المجموعة الجديدة وعلي القيام به من أجل...»

قاطع كايل كلامها بقوله بإصرار: «إذن قومي بالعمل وأنت في بارا. نعم بريوني أنا أريدك أن تبدئي العمل من الجزيرة كما اتفقنا وتستطيعين البدء بمجموعته.»

قالت: «ولكنك لا تفهم، إنه مستحيل بالنسبة إلى المجموعة اليابانية، عليّ أن أكون في الموقع حتى أنظم وأختار القماش... إنه فقط لثلاثة أشهر يا كايل.»

توقفت عن الشرح وأخذت تتوسل إليه.

أجابها كايل بغضب هادىء: «وبعدها أيضاً ثلاثة أشهر لمجموعة أخرى...؟ كلا يا حبيبتي لن أعطيك وقتاً آخر، لقد تنازلت كثيراً حتى الآن ولست مستعداً للتنازل أكثر من ذلك. إما أن تعودي معي الآن إلى بارا أو لا تعودي مطلقاً. وأنا



أقصد ما أقوله الآن يا بريوني... ولا حتى الاسبوعين الباقين لنهاية الشهر.»

لقد تناقشا بحدة وتلاسنا لأول مرة في حياتهما وانتهى الجدال لاحقاً برحيله. اعتقدت بريوني أنهما سوف يتفقان ولكنها أدركت أنه لا ينوي البقاء والنوم في تلك الليلة في المنزل. راقبته يرحل من شقتهما ومن حياتها الزوجية وهي واقفة لا تتحرك لشدة استغرابها. لو أنها علمت آنذاك أنه سيرحل إلى الأبد لكانت تخلت عن كل شيء وخاطرت حتى بغضب ديريك ومقاضاتها قانونياً في سبيل كايل. لكنها بالرغم من رؤية كايل غاضباً لم تصدق ولا للحظة أنه سيتركها ويتخلى عنها وانه جدّي بكلامه حتى حاولت الاتصال به في الاسبوع التالي لتخبره بأنها ملزمة بالسفر إلى باريس لبضعة أيام متوقعة أنه قد هدأ. لكنها لم تحظ بفرصة التحدث معه عن أي شيء.

كان كايل خارج الجزيرة مسافراً، هكذا قيل لها عندما اتصلت بمنزل الريف. ولم تصدق ما سمعت فإن كايل لا يسافر دون اعلامها بالأمر مسبقاً. وهكذا لم تستطع الاتصال به والرسائل التي تركتها في بارا وفي لندن لم يرد عليها بتاتاً.

مضت ستة أسابيع أدركت خلالها مدى جديته. أخيراً استسلمت بريوني ولم تعد تتصل به. وحاولت أن تغرق نفسها في عملها واستلمت مجموعة هبرايدن بعد مجموعة اليابان لأنه لم يعد هناك من سبب لعدم متابعة عملها. كانت متألمة وغاضبة من تصرفاته ومن رفضه المستمر لجميع

محاولاتها للصلح معه... ولأنه المسؤول عما حصل لزواجهما ولأنه أنهى علاقتهما بتلك السرعة كأنه أرادها أن تنتهي.

هل من أجل ايزابيل الجميلة المنتظرة في بارا...؟ ولكن هل من المعقول أن تكون مخيلتها الواسعة قد رسمت لها ذلك نظراً للوسط التي هي فيه؟

كانت بريوني تتساءل وتفكر يائسة وهي تخرج لتتمشى نحو المنحدر إلى الماء للهرب من السكون المحيط بها داخل الكوخ.

كان الجو بارداً بالقرب من الماء والرياح تهب من البحر باردة بينما الغروب الطويل للصيف في هذه المنطقة الشمالية يطول أكثر من العادة. نظرت بدقة إلى ساعتها ولم تصدق أنها ما زالت التاسعة. فقد ثلاث ساعات مضت منذ أوصلها نيل.

وها هي تنتظر، أمامها ليلة طويلة باردة إلا إن عدلت عن رأيها وعادت إلى منزل الريف فوراً قبيل وصول العاصفة التي ستهب. ها هي في وسط العدم والبرد والمنزل لا يبعد عنها سوى نصف ميل حيث الدفء والراحة والسرير النظيف والطعام اللذيذ وكايل وصحبته الجميلة، أم هو ما زال مكفهر الوجة كما تركته آخر لحظة عندما طلب من نيل توصيلها؟ مهما كان الأمر عليها مواجهته الآن لقد اختارت هي بنفسها ذلك.

بدأت ترتجف خائفة من الظلام الدامس الذي خيم فجأة. أسرعت بريوني حتى حقيبة ملابسها داخل الكوخ لترتدي ثياباً تدفئها.



كان الكوخ مظلماً بارداً أكثر من الخارج والرياح تلعب في أرجائه من كل صوب وتصفر داخل الموقدة والمدخنة. كانت يداها باردتين كالثلج وأخذت المفتاح حتى تفتح حقيبتها لتجلب الثياب، وإذا بها وأصابعها ترتجف من البرد أن أوقعت المفتاح على الأرض واختفى بين الشقوق، جثت على ركبتيها بيأس تحاول العثور عليه ولكن للأسف. ولم تمض ثوان حتى بدأ المطر ينهمر عليها من السقف المفتوح وعندما حاولت أن تداري نفسها من المطر اقتربت من الباب وإذا بها تستحم بالماء البارد من جراء تكوم المياه عند عتبته.

لم تجد سوى زاوية واحدة جافة في زاوية الكوخ. وقفت عندها ترتجف وأسنانها تصطك ببعضها. جلست على احدى الصناديق تعانق نفسها محاولة أن تدفء جسمها. قالت لنفسها: «أهلاً بك في بارا.» محاولة الترفيه عن نفسها. قاومت الدموع المتلألئة في عينيها وتصورت الساعات الطويلة التي ستقضيها هكذا إلى أن يبزغ الفجر غداً صباحاً.

رأت ضوءاً يتقدم خارج النافذة فتنكرت قصص شوني الخيالية عن الأشباح والأضواء فامتلك الذعر قلبها. ها هو الضوء مصوب نحو الكوخ ثم ظهر الضوء الآخر بعد ثوان. كادت أن تصرخ ولكنها احست بأن صوتها قد اختفى.

سمعت صوت كايل يناديها باهتمام: «بريوني.. أين أنت؟ بريوني.» صوب مصباحه نحوها ثم على الأرض لينير طريقه إليها.

فوراً وضع عليها معطفاً واقياً للمطر وهو يقول: «كل شيء على ما يرام يا نيل. عد إلى السيارة.» انتبهت إلى أن صوته خلى من الاهتمام وكأنه لم يكن كذلك قبلاً. كانت تشعر بالاحراج لأنها سببت لنيل الخروج مجدداً في هذه العاصفة مع كايل الغاضب. كان متوتراً وعصبياً وهو يلبسها المعطف ويشد على ذراعيها بقوة. كانت تستحق معاملته الفظة ولكنها كانت تفضل لو بقيت تحت المطر ووحيدة في الكوخ على تصرفه الفظ معها.

قال كايل: «اترك الحقيبة مكانها يا نيل إلى الغد.» اقفل سحاب المعطف وأمسك المصباح بيده وعانقها باليد الأخرى حتى لا تقع وتوجها إلى باب الكوخ.

قال نيل: «استطيع أن أحمل الحقيبة.» كان صوته آتياً من ناحية الموقد.

اوضحت بريوني لهما: «لم أستطع أن أفتحها. وقع المفتاح مني على الأرض لهذا أنا مبتله و... حقيبة يدي!» حاولت أن تستدير لتعود وتجلبها ولكن كايل دفعها إلى الخارج حيث الرياح والمطر المنهمر.

سمعت نيل يقول بهدوء ورصانة: «لقد جلبت لك حقيبة يدك أيضاً سيدة بوغانان.»

وضع كايل ذراعه حولها يشدها نحوه ويحملها عن الأرض أحياناً ثم يتركها ثم يحملها مجدداً وهو ينزل المنحدر حتى وضعها على مقعد السيارة الخلفي كأنها طفلة ثم أضاء أضواء السيارة حتى يرى نيل طريقه. هنا نظرت بريوني إلى وجهه الشاحب والغاضب وشعره الأسود المبلل حتى أنها تراجعت عن تقديم اعتذارها له عندما رأته



على هذه الحال. جلست ترتجف بصمت حتى وضع نيل الحقيبة في صندوق السيارة.

كان مثل كايل يرتدي معطفاً أسود واقياً للمطر ولم يتفوه بكلمة. لم تعد تتحمل صمت الرجال لذا بدأت بريوني بالكلام حول المفتاح الذي أضاعته بين شقوق الأرض وأنها كانت في حالة لا بأس بها لو استطاعت أن تبدل ثيابها. تابعت كلامها حتى وصلت إلى المنزل ودخلت القاعة وأخذ يخلع عنها المعطف المبلل بالماء ويرميه على الأرض بجانب معطفه.

www.elromancia.com

# الفصل الثالث

«سأقول هذا مرة واحدة يا بريوني، ارجوك لا تذكري حقيبتك مجدداً. في الحقيقة ستسدين معروفاً لي لو توقفت عن الكلام نهائياً.» ثم احاطها بذراعه وحملها على السلالم إلى الطابق العلوي ثم إلى الغرفة التي في آخر الممر. كانت غرفتهما واصبحت غرفة كايل الآن، انها آخر غرفة تتمنى ان تكون فيها.

«آه، كلا يا كايل ليست هذه الغرفة. انا لا اريد...»

تجاهل اعتراضها وتركها واقفة داخل الغرفة مندهشة وخرج ليعود بعد دقيقة ومعه منشفتين من الحمام القريب. لف واحدة حول شعرها المبلل وقربها من الموقد المشتعل.

قالت: «كلا كايل، استطيع تدبر اموري.» اعترضت وحاولت الابتعاد عنه عندما أمسك بطرف ثوبها، كان وجهه جامداً كالصخر متجاهلاً اعتراضها. خلع عنها الجاكيت القطنية ورماها على الأرض من دون ان ينظر إليها. كانت نظراته الغاضبة تخترقها إلى البعيد وتصرفاته باردة وعندما وصلت يديه إلى خصرها وشدها نحوه علمت انه لا يرغب بعناقها بل بخلع ثيابها عنها، ردة فعلها كانت عنيفة وأول ما فكرت به هو إيقافه عند هذا الحد. ولكنها لم توقفه بالرغم من كل شيء، وقفت مقطوعة الأنفاس محاولة بكل جهدها عدم وضع يديها على كتفيه وأن لا تتوسل اليه حتى



يحضنها ويعانقها بين ذراعيه. كانت تتمنى ان يقول لها ان كل شيء على ما يرام بينهما مجدداً.

نظر كايل فجأة إلى وجهها، هل من المعقول ان يكون قد شعر بها وعرف ما يجول في خاطرها؟ هل خانتها عيناها وقواها؟

عندما تلاقت عيونهما توقفت يداه عن الحركة ثم فجأة ترك الغرفة، حدقت بريوني بعينيها إلى ظهره وهو يخرج من الغرفة وسمعته يقول إلى مدبرة المنزل: «ادخلي الآن ارجوك يا موراغ.» التي كانت تنتظر في الممر.

كان وجهها المليء بالتجاعيد يبدو خائفاً وقلقاً، اسرعت اليها المرأة العجوز لتساعدها.

«مرحبا يا موراغ.» وحاولت بريوني الابتسام.

سألتها موراغ: «ما الذي فعلتيه بنفسك؟» وعانقتها بعاطفة بين ذراعيها لوهلة شعرت بريوني براحة كانت تحتاج اليها، كانت تكلمها بلغة الغاليك التي تفهم منها القليل.

«هيا يا حبيبتي كل شيء سيكون على ما يرام.» تابعت موراغ تمتماتها وهي تساعدها على تبديل ثيابها وتنشفها كالطفلة: «الآن لا تتحركي من امام الموقدة حتى تجفين تماماً.» طلبت منها ذلك بعد ان ألبستها ثياب نوم كايل ثم تابعت: «لقد اضئت الغطاء الكهربائي الآن ولن يكون قد سخن بعد.» ثم لمت ثيابها المبللة عن الأرض وهزت برأسها: «لا احد يعلم ماذا حصل لكما، هو أرسلك إلى كوخ شوني وانت وافقت وذهبت، وذلك بعد ان طلب مني ان احضر لك الغرفة بعد الظهر وكنت اعتقد...» ثم هزت رأسها مجدداً دون ان تكمل ما بدأته.

صححت لها بريوني كلامها: «انه لم يرسلني.» كانت تدافع بذلك عن كايل امام انتقاد المرأة. «بل أنا اردت الذهاب إلى هناك وقد سمح لي. هذا هذا كل شيء.»

«إذن انتما الاثنين سيئين.» قالت موراغ ذلك وحدجت كايل بنظرة موبخة وهو يدخل الغرفة إذ انها نادته عندما رأته يمر من امام باب الغرفة ويحمل بيده فنجاناً ساخناً.

قال: «شكراً موراغ سوف اهتم بها الآن.»

اجابته موراغ وهي تتقدم نحو الباب: «كنت ذاهبة، تصبحون على خير.»

ردت بريوني: «تصبحين على خير يا موراغ وشكراً لك. أنا...»

لكن موراغ كانت قد خرجت من الغرفة ولم تسمع باقي الكلام.

قال كايل: «لقد خرجت.»

استدارت بريوني نحو كايل ونظرت اليه قائلة: «لست في حاجة إلى ان تتعب نفسك لقد اصبحت في حالة جيدة.» ثم حدقت بالموقدة.

احس كايل بنبرة الكذب يتخلل صوتها، لذا قال: «خذي اشربي... هذا سيفيدك.» ودفع بالفنجان إلى يدها.

امسكت الفنجان دون ان تنظر في عينيه، كان السائل ساخناً وحلو المذاق انه الشاي الذي تكرهه. قال: «اعلم انك لا تحبينه ولكنه سيفيدك، جربي قليلاً منه بعد.» شجعها بلطف ثم تابع بعنف: «لا اريدك ان تكوني مريضة في الغد في حال اصبت بالزكام.»

اخذ الفنجان من يدها بعد ان شربت اكثر من نصفه



ووضعه على الطاولة ثم قال: «تعالي إلى السرير الآن.» لا بد وانها اصيبت بالصدمة، لقد علم كايل ما كانت تفكر به، وجهها وعيناها قد خاناها ولا يوجد طريقة حتى تتراجع الآن. سمعته يقول: «كلا يا بريوني انا لا انوي الانضمام اليك في الغرفة، انا غير معتاد على استغلال امرأة مصدومة ونصف غريقة مهما كان تفكيرها ورغبتها.»

ثم تركها بمفردها وخرج من الغرفة.

كانت بريوني سعيدة بوجودها لوحدها في السرير الدافىء الواسع. اغمضت عينيها واوقفت تفكيرها عند ابتسامة كايل الأخيرة لتنسى كل شيء فظيع قد حصل لها مؤخراً منذ رأته من نافذة الطائرة.

ولكنها مع الأسف نامت نوماً متقطعاً... كانت تسمع اصواتاً مألوفة لديها... صرخات النورس ممزوجة مع صياح الديك... الخراف... تدفق المياه فوق الصخور. ثم تذكرت أين هي واخذت الصور تتراءى في مخيلتها ومعظمها عن كايل البارد والغاضب ماعدا عندما جلس بجانبها على السرير خلال الليل، فتحت عينيها فجأة. كايل بجانبها خلال الليل...؟ لا بد وانها حلمت بذلك، لكن صورته الداكنة تراقبها وتسهر عليها وهي تسمع صوته وهو يقول لها: «انا هنا يا حبيبتي.» هل قال كايل ذلك؟ لقد كانت موراغ التي دللتها بكلمة حبيبتي ولكن بريوني كانت متأكدة انها سمعتها من كايل ايضاً، انها تتذكر صوته أو ربما تتخيل الأمر لأنها تتخلى عن كل شيء في سبيل ان يناديها حبيبتي مجدداً.

ادارت رأسها ونظرت من النافذة فرأت أشعة الشمس مكان الظلام في ليلة أمس.

دخلت موراغ الغرفة وقالت لها: «صباح الخير يا عزيزتي، انه يوم جميل وبارا تستقبلك بيوم مشرق.»

شكت بريوني بكلامها جلست في السرير تبتسم لها وهي تقول: «آسفة لما حصل ليلة أمس يا موراغ.»

اجابتها: «من الأفضل ان لا نذكر شيئاً عن تلك الليلة، ابقي متمددة هنا وارتاحي سوف اجلب لك ما تأكلينه، لقد قاربنا الظهر ولا بد انك جائعة.»

قالت: «كلا لست جائعة.» كان الطعام آخر ما تفكر به. آخر وجبة تناولتها كانت مع ديريك في ستورنواي ظهر أمس ولكنها لم تكن جائعة. سألت موراغ: «ما الذي تفعلينه؟» عندما رأتها تروح وتجيء من الباب إلى أسفل السرير.

اجابت موراغ: «اخرج فقط بعض الثياب لك من الحقيبة.»

سألتها: «هل حقيبتي هنا؟ مفتوحة؟»

«نعم، السيد كايل احضرها ليلة أمس إلى هنا.»

«إذن كايل قد دخل غرفتها أمس بعدما نامت ولقد بقي...؟

سألتها بريوني: «أين هو الآن؟» عليها ان تسأل حتى لا يدخل عليها الغرفة والحمام متى أراد اذ ان جميع الغرف هنا بدون مفتاح.

اجابتها: «في الطابق السفلي في مكان ما.»

كانت موراغ قد اعتنت بكايل منذ صغره حتى كبر ثم اخذت تهتم بمنزله إلى الآن ولقد فهمته وفهمت طباعه. تمنت بريوني لو تستطيع ان تفهم الجانب المظلم من شخصية كايل كما تفهمه مربيته.



بقيت تستحم في الماء الساخن مدة طويلة، فغسلت شعرها ثم جففته قبل ان ترتدي بنطال الجينز وقميصاً قطنياً أبيض.

عندما دخلت إلى الغرفة وجدت كايل امام النافذة، قال لها: «صباح الخير... أو مساء الخير... كيف تشعرين الآن؟»

كانت ابتسامته الجميلة وصوته السعيد قد فاجآها.

ردت بريوني: «جيدة، شكرا... شكراً لجلبك الحقيبة وفتحها.»

اجابها: «تكسير قطع الخشب من هواياتي المفضلة.»

ابتسمت له: «انا آسفة عما حصل يوم أمس و...» واذا به يرفع حاجبه الداكن فتوقفت عن الاعتذار. ثم تابعت: «اقصد الازعاج الذي سببته لنيل وموراغ. لو كنت ذكرت لي حالة الكوخ المزرية لما ذهبت إلى هناك.»

قال متفاجئاً: «انا؟ أم تقصدين نفسك، انت التي صممت على الذهاب وكان عليك العودة مع نيل عند مشاهدتك حالة الكوخ.»

قالت: «الحالة التي كان يجب عليك اخباري عنها.»

اجاب: «وهل كنت ستصدقيني؟» تحداها كايل بضحكة ساخرة كان على بريوني الاعتراف لنفسها انه على حق، فرفعت كتفيها دون أن تقول شيئاً.

قال: «بالضبط.» قرأ اعترافها على وجهها. فتابع: «إذن لماذا لا ننسى الموضوع بما انك لن تنامي الليلة في كوخ شوني.»

قالت: «ولكن لا اريد ان ابقى هنا. ليس في هذه الغرفة

اقصد انها غرفتك ولا اريد ازعاجك اكثر من ذلك بالاضافة إلى انني افضل غرفة من غرف الضيوف في الطابق العلوي، ان المنظر رائع من فوق ويجلب الهدوء إلى النفس و...» سكتت عندما رأته يهز رأسه.

فقال لها: «انك لا تزعجينني اطلاقاً وانا متأكد انك ستجدين المنظر من هنا رائعاً ايضاً.» اكد لها متابعاً بسخرية: «بجانب انها غرفتك ايضاً ولقد كنت اعتقد انك تحبينها.»

كانت تحبها فعلاً، انها غرفة جميلة وكباقي المنزل مفروشة بالقطع الأثرية التي جمعت عبر الأجيال، انها غرفة مليئة بالذكريات الجميلة. كان كايل يراقبها وهي تجول بنظراتها في انحاء الغرفة وكأنه يقرأ افكارها. سألته فجأة: «اين ستنام الليلة؟»

قال: «كما نمت... أو بالأحرى كما قضيت ليلتي البارحة. هل هذا ما تعنيه؟» لقد كان موجوداً معها في الغرفة، لم تعد تشك في الأمر. ولكن لم يعد عقلها يتقبل ما حدث. لقد كان قلقاً عليها مهتماً بها طيلة الليل، وها هو الآن كايل الساخر معها الآن.

قال لها: «إذن اين تريدينني ان انام الليلة يا بريوني؟» اقترح عليها ذلك بصوت مختلط بسؤال بعث الرجفة في أوصالها.

هل كان يتوقعها ان تقع في المصيدة مثل ليلة أمس وتعيد عليه ما تمنته البارحة من آمال محرجة...؟ حدقت به قائلة: «اسمع يا كايل، لم اقصد ليلة أمس ان... حسناً انني اريدك ان...» لم تستطع ان تقول تحضنني. «انا لم آتي إلى بارا،



اقصد بما اننا...» لم يكن كايل يسهل عليها كلامها وهو يحدق بها رافعاً حاجبه بسخرية ومنتظراً ليرى كيف ستخرج نفسها من هذا المأزق. تابعت: «انا لم آتي من اجل المصالحة.» اخيراً نطقت بها.

لم تتغير ملامح وجهه وهو يسألها: «لماذا عدت إلى بارا؟»

كانت تتوقع هذا السؤال وكانت حاضرة للإجابة: «بسبب العمل.» ورأت على الفور تشنج العضلات في وجهه. فتابعت: «لقد أتى ديريك بفكرة لتصميم مجموعة أزياء شتاء لأميركا من الجوخ والكشمير. انها مجموعة هبرايدن. ان ديريك يعتقد أو نحن نعتقد... اننا سنصبح في سوق اميركا أخيراً وشعر ديريك انه مهم لي ان انعش ذاكرتي عن هبرايدن وان آتي إلى هنا مباشرة بعد زيارتي لويس وهاريس حتى ابدأ بالرسومات.» كانت تشدد على ذكر اسم ديريك في كل جملة حتى تؤكد له ان فكرة العودة إلى بارا هي فكرة ديريك وليست فكرتها.

ابتسم كايل: «اذن الشراكة مازالت مزدهرة، لثلاثة اشهر أخرى أليس كذلك؟ قبل ان تعودي وترتبطي بثلاثة اشهر أيضاً أخرى؟ هذا ان لم تكوني قد ارتبطت فعلاً.»

هكذا بدا الأمر كما وصفه سابقاً في آخر نقاش حاد بينهما، وهو على حق، ولكن ليس لأنها ارادت متابعة عملها، بل لأنه تركها من دون شيء سوى عملها. لم يكن لديها أية طريقة للشرح له ولم تحاول.

قالت له: «على كل حال اعتقدتك في نيويورك والا لما كنت عدت واحرجتك وبما انني سأمكث مدة طويلة فقد ارسلت

بطلب سيارتي وسوف استلمها قريباً، واخشى انها لن تصل قبل يوم الأربعاء مساءً لذا لن ارحل قبل صباح الخميس، وليس عندي خيار آخر سوى ضيافتك.»

سألها كايل: «لماذا اعتقدتني في نيويورك؟»

قالت: «ديريك ذكر لي ذلك.» لم تشأ اخباره عن قلقها حياله وتساؤلاتها عنه طيلة الوقت.

قال: «آه نعم بالطبع ان ديريك هذا هو منجم من المعلومات المتحدثة.» كان صوته مليئاً بالكراهية ثم تابع: «اين كنت اصبحت لولا وجوده؟»

لم يكن سؤاله بحاجة إلى جواب. هل كان يعني بقوله انها لما كانت وصلت إلى ما هي عليه لولا وجود ديريك، ومساعدته كشريك لها؟ العمل، ديريك انهما الشيئان اللذان لا يطيقهما.

«يجب ان لا آخذ من وقتك اكثر من ذلك. انا متأكدة بانك مشغول.» ذهبت حيث حقيبة يدها موضوعة على الطاولة امام المرآة واخذت تبحث فيها كأنها هي أيضاً مشغولة بشيء ما.

لم يكن كايل يرغب بمغادرة الغرفة، استند عند حافة النافذة واخذ يراقبها مبتسماً ثم توجه نحوها. تركت حقيبتها وتظاهرت بأنها ترتب قميصها ثم توقفت لترى كايل ينظر إلى جسدها ببطء ثم يحول نظراته إلى وجهها بعينين غامضتين.

«لقد خسرت وزناً واصبحت نحيلة.» تقدم منها بخطوة اخرى ثم وضع يديه على أعلى ذراعيها وبدأ يحركهما من الكوع إلى الكتف حركات متتالية، كانت قد نحلت في



الأسابيع الستة الأولى عندما تركها وأدركت عندها انه جدي بكلامه معها.

كان كايل طويل القامة بالنسبة لأهالي الجزيرة. اما بريوني فكانت طويلة القامة ايضاً مثله وعندما تقف امامه تصبح عيناها على مستوى عينيه تقريباً.

نظرت في عينيه الزرقاوين الداكنتين وهي تحاول ان لا تظهر ما تشعر به تجاهه وهو يدلك ذراعيها. لم تكن مصدومة الآن وكبرياؤها يرفض بشدة ما طلبته منه ليلة أمس. كان عقلها وعزة نفسها ترفضان اما جسدها فكان يتفاعل لوحده مع ضغط يدين كايل وكأن اعصابها المشدودة قد استرخت الآن، كان يعلم تماماً ما تفعله لمساته بها، لقد تعرف على اشاراتها أمس ويعرفها الآن مهما قاومت رغبتها وسيطرت على نفسها، توقفت يداه عن تدليكها وبقيتا ممسكتين بذراعيها. تمتم بصوت مبحوح: «مازلت جميلة كما عهدتك.» ثم احنى رأسه وقبلها قبلة ناعمة.

ترك ذراعيها وانسحب بعيداً عنها بحركة مفاجأة. وقال: «دعينا نقول انها كانت من اجل الأيام الماضية.»

ابتعدت عنه شاعرة بذل ثم مرت بجانبه لتجد نفسها امام النافذة حيث كان واقفاً هو من قبل.

ادارت ظهرها له واخذت تحدق بالمياه الممتدة امامها، واحست بنظراته الحارقة تلسع ظهرها فيما هو واقف مكانه يتأملها.

لقد أجبرها على المكوث في منزله واجبرها على التجاوب معه ولم تعد تسيطر على الوضع وما عليها سوى الاختباء منه.

يا للذل لقد قال من أجل الأيام الماضية، كأنه لم يوضح لها بعد ان علاقتهما اصبحت من الماضي، في النسيان وانها لن تجد مكاناً بجانبه في المستقبل.

عندما كانت في لندن بعيدة عنه عدة أميال قبلت رفضه واقنعت نفسها بأن الأمور لن تدوم على حالتها إلا لعدة اسابيع فقط أو عدة اشهر على الأكثر وسوف تتخطى اليأس والألم اللذين سببهما كايل عندما رحل عنها. الآن وبعد اقل من اربع وعشرين ساعة على جزيرة بارا شعرت بالمرارة التي أحست بها في بداية تركه لها وعاد الألم اليها.

احست بوجود كايل ما يزال في الغرفة، فقالت له دون أن تستدير: «اتركني لوحدي كايل ارجوك.» طلبت منه ذلك واستدارت ببطء لتراه واقفاً إلى جانب الباب ووجهه خالٍ من أي تعبير.

عندما التقت عيناهما ببعضهما قال: «سأخبر موراغ انك جاهزة لتناول الغداء.»

خرج من الغرفة وبقيت هي مع توترها الذي علمت انه سيلازمها حتى تترك الجزيرة خلال يومين... ستبتعد عن طريق كايل ولن تعطيه فرصة أخرى ليقتحم الجدار الذي ستبنيه حولها من اجل سلامتها وحمايتها.

ان فكرة وجوده في المنزل فقط قادرة على جعلها ترغب بتركه وسوف تتناول الغداء في المطبخ مع موراغ لأنها لا تريد رؤيته في غرفة الطعام. سوف تترك المنزل بعد الظهر وتذهب. إلى اين؟ لا تعرف ولكنها ستترك المنزل.

وجدت سيارة كايل راكنة مكانها حيث اوقفها نيل البارحة قريبة من حديقة الخضار والأزهار المزروعة التي



تهتم بها موراغ والتي تقع خلف المنزل لحمايتها من الرياح. كانت سرعة الرياح تأتي شديدة على الجزيرة صيفاً وشتاءً.

غادرت المنزل وسط هذه الرياح وتركت شعرها يتطاير حول وجهها بينما كانت تتسلق الصخور وسارت على طريق منحرف وبين المنحدرات كما كانت تمشي مع كايل سابقاً لعدة ساعات في اليوم. كانت التلال مألوفة لديها وكانت تشعر انها تعرف العائلات التي كانت تسكن في الأكواخ القديمة التي اصبحت اكواماً من الحجارة الآن. لقد كتب عنها كايل في كتبه... واخبرها عن تاريخ وعادات المنطقة. كان يريد بكل شغف مشاركتها امور جزيرته ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

لقد تحدثا كثيراً عن المستقبل وهما جالسان على تلك الصخرة الكبيرة بجانب اكوام الحجر المتبقية من الأكواخ وازهار الزنبق الصفراء البرية في الصيف الفائت.

هل مضت سنة الآن؟ لا بد ذلك، لأن الاحتفال السنوي يقام في هذه الفترة من السنة. لقد اصطحبها كايل إلى جميع الحفلات الموسيقية التي كانت معروضة ولعبا في كافة الألعاب... كان يوماً لعرض الرقص الشعبي لتلك الجزيرة. كما انهم دعوا اصدقاء للعشاء عندهم... أو كانا يخرجان للعشاء.

تذكرت بريوني تلك الأيام الرائعة التي تنتهي نشاطاتها بالسهر على الشاطىء الذي لا ينتهي معه خلال الليالي الصيفية... حينذاك كانا سعيدين مع بعضهما وتمنت لو انها لم تأتِ إلى بارا. انها غلطة كبيرة. هنا تحابا وتحدثا عن

مستقبلهما... وعن تأسيس عائلة سعيدة ارادتها كما ارادها كايل. هنا كانا مرتاحين وسعيدين لآخر مرة في زواجهما.

وقفت بريوني فجأة مما اخاف خروفاً كان يرعى بقربها. المشكلة كانت ان كل زاوية في الجزيرة تذكرها به. نكريات مؤلمة لأنها تعود إلى عهد الحب وإلى كايل المحب. وفكرت ان افضل شيء تفعله هو أن تتصل بسيارة أجرة وتدع جيمي يوصلها إلى كاستلبي حتى تجلس في احد ملاهيها بين السواح الفرحين.

عندما عادت بريوني إلى المنزل ادركت متفاجئة ان الوقت قد مر بسرعة واصبحت الساعة السادسة.



# الفصل الرابع

كان كايل يخرج من غرفة الجلوس بينما كانت تدخل إلى القاعة في المنزل.

قال كايل لها بصوت قلق: «كان عليك اخباري انك ستخرجين يا بريوني، فأنا لديّ أمور اهم لأقوم بها بدلاً من ان ابحث عليك في الطوابق الثلاث حتى يتكلم معك مارتين غون.»

لم يعنِ الاسم شيئاً لها، بدت محتارة ومرتبكة ثم تنكرت. «مارتين؟ هل اتصل إلى هنا؟ ولكن انا...»

أكمل جملتها: «قلت له ان لا يتصل؟» ثم تابع بسخرية: «نعم انا متأكد انك قلت له هذا ولكني أرغب بأن تقولي له مجدداً ذلك في حضوري.»

لقد قال لها ذلك حتى يتسنى له لعب دور الزوج الحريص على زوجته مع انه لم يبق لديه حق عليها لا ان تعرفت على احد أو ان خرجت مع احد.

قالت بلهجة غاضبة: «انت تدهشني يا كايل!» ثم تابعت بتهكم من شدة غضبها: «كان عليك انت ان تقول له مايزعجك على الحال.»

قلب شفته السفلى واقترب منها ليحطيها بخصرها بينما كانت تمر بقربه لتذهب إلى الطابق الثاني. وقال: «صدقيني هذا ما انوي فعله ان اتصل مرة ثانية ليتحدث مع السيدة هايورد في منزل زوجها.»

www.elromancia.com

اجابته: «من الواضح انه لا يعلم انني متزوجة منك.» محاولة ان ترفع اصابعه عن خصرها.

أخذ كايل يدها ورفعها لينظر إلى خاتم زواجهما وقال: «من الواضح ايضاً انك تضعين خاتم الزواج على اصبعك.» ثم ترك يدها فجأة: «انه خاتم زواجنا يا بريوني ومهما كانت فترة زواجنا قصيرة وغير متكاملة بما انك مازلت زوجتي فأنا اتوقع منك ان تتصرفي على هذا النحو، وذلك يعني عدم تشجيعك للسيد مارتين غون أو اي رجل آخر طالما انت على هذه الجزيرة.»

اختار كايل كلماته بدقة متناهية حتى يجرحها، زواجها قصير وغير متكامل. انه يقصد اهانتها بكل كلمة نطق بها. اما باقي كلامه فهو يدل على اتهامها بشكل واضح بأنها كانت تشجع مارتين على التحرش بها.

احمر وجهها من الغضب وثارت عليه قائلة: «انا لم اشجع احداً.»

قال: «لا؟ إذن عليك ان لا تضعي في رأسه افكاراً خاطئة بالسماح لنفسك بالتحدث معه على شرفة الحانة في كاستبلي امس.»

قالت بصوت عالٍ: «انت تتجسس عليّ! ارسلت احداً ورائي إلى كاستلبي.»

حدقت بريوني به مصدومة من تصرفاته العديمة الاخلاق. كيف له ان يعلم اين التقت بمارتين ان لم يكن يتجسس عليها؟

ظهرت اسنان كايل البيضاء عندما ابتسم لها ابتسامة ساخرة وقال: «انت تبالغين بالأمر لو ظننت انني اهدر المال



والوقت حتى استقصي اخبارك على الجزيرة الصغيرة... لقد اخترت مكاناً علناً للاجتماع مع صديقك وانت معروفة بالمنطقة والجميع سيلاحظ ذلك. وبالطبع سيخبروني بالأمر.»

كان عليها ان تدرك ذلك، ولكنها لم تقصد ان تجتمع به فلقد تعرفت عليه صدفة في الحانة. ما كان يغيظها هو انه ليس غيوراً عليها بل ما يهمه هو انه يحافظ على المظاهر وكلام الناس. مما جعل اتهامه لها جارحاً ومؤلماً.

ردت عليه لتغيظه: «وكيف لك ان تعلم اننا فقط تعارفنا على بعض هنا ربما اعرفه منذ زمن وانا في لندن مثلاً؟» كانت تحاول ان تثير غيرته ولكم كانت دهشتها عظيمة عندما جمّد نظرات عينيه نحوها ورد عليها بجواب بارد: «لأنني اعلم ان وقت فراغك يحسب عليك.» وتركها حائرة تحدق به غير مدركة ما قاله.

تركها وخرج ثم سمعت صوت محرك سيارته يدور. من المؤكد انه غاضب وهذا ما ارادته بالفعل ان تراه غاضباً، اخذت تفكر بكلماته. وقت الفراغ في لندن محسوب...؟ كيف؟ امام شاشة التلفزيون؟ زيارة اهلها القلقين عليها منذ رحيل كايل؟ حضور عروض الأزياء مع ديريك الذي كان يتصرف وكأن انفصالها عن كايل هو اهم ما حصل لتقدمها في العمل بما انها الآن تعمل اربع وعشرين ساعة تحت تصرفه وتعيش وتتنفس من مجموعة هبرايدن كما يفعل هو.

لقد اعترفت بريوني بأن تلك المجموعة من اهم ما ستقوم به بالرغم من انها فكرة ديريك وليست فكرتها، تمنت لو انه

فكر بها قبلاً لكانت في بارا في الوقت الذي وعدت كايل به ولم يحدث ما حدث بينهما. ولكن ديريك كان سعيداً بوجودها إلى جانبه على هذا النحو، حتى لو فكر بالمجموعة تلك مسبقاً لما كان اخبرها بذلك عن قصد.

شعرت ان تفكيرها بديريك على هذا النحو ليس عادلاً، ولكن متى كان ديريك عادلاً معها...؟

بين حيرتها وتساؤلاتها وجدت نفسها في المنزل وحيدة، فذهبت إلى المطبخ حيث موراغ موجودة.

«لقد حضرت بعض اللحم الباردة على طاولة الطعام ولكن ان كنت ترغبين بالطعام الساخن سأبقى واحضره لك، آمل ان لا تمانعي ولكني قد طلبت من جيمي ان يصحبني إلى منزل ابنتي كايت لتمضية المساء لعدم علمي انك ستكونين هنا. استطيع ان ابقى ان رغبت بذلك.»

رفضت بريوني بحدة: «أي نوع طعام بارد جيد، غادري متى اصبحت جاهزة.»

قالت: «إن السيد كايل اصبحت لديه عادة ان يخرج كل مساء، آنا آسفة يا ابنتي.» اعتذرت موراغ وكأنها هي المخطئة، ثم تابعت: «اعتقد انه شعر بالوحدة في فترة غيابك عنه.» وكانت تنظر اليها بعطف وحنان، لم يكن على موراغ ان تقول اكثر لقد فهمت بريوني انه يذهب ليلتقي بايزابل ماكلويد كل ليلة.

لهذا قاطعتها قائلة: «نعم اعتقد ان كايل قد اخبرني ان لديه موعد مهم هذا المساء.» ندمت على كذبتها وتضرج وجهها احمراراً. لماذا عليها تقديم الأعذار عنه مع ان موراغ تعلم كل شيء عن زواجهما الفاشل؟ انها تتمنى ان



يتصالحا، ان مدبرة المنزل تحب كايل وترغب ان تراه سعيداً مع زوجته.

ان تمضي امسيتها وحيدة امام شاشة التلفزيون شيء لا يطاق، بينما كايل... لم تشأ ان تفكر به ولكنه يحتل عقلها ويشل تفكيرها منذ ان كانت في لندن. الفرق الوحيد الآن هو وجود ايزابيل ماكلويد معه. ولكن كيف لها ان تتأكد من وجودها معه؟ الليلة أو في اية ليلة أخرى؟

حاولت بريوني ان تكون منطقية بتفكيرها، ربما هي غيرة بسيطة... تجربة لم تمر بها في حياتها من قبل لأنه لم يكن من داع لها، أو هو الكبرياء؟ لقد كانت مقتنعة تماماً بمحبة كايل وعاطفته تجاهها لدرجة لم يخطر في بالها ابداً انه من الممكن ان يحب امرأة غيرها. ما عدا عندما رأت ايزابيل بجانبه في المطار. اخذت تتساءل عن سبب ومدة وجودها معه.

قضت بريوني ليلتها في السرير دون ان تنام كانت تتقلب يميناً ويساراً وتفكر وتنتظر لتسمع صوت محرك سيارة كايل. ولكنها لم تسمع سوى صوت الماء المألوف لديها على الصخور حتى غلبها النوم.

كان كايل في مكتبه عندما نزلت في الصباح وتناولت فطورها وحيدة. لم ترغب بريوني برؤيته مثلما لم يرغب برؤيتها...

كان موقفها حرج للغاية إذ تشعر بعدم رغبة بوجودها وتحاشيها وتجاهلها... اصبحت محط انظار موراغ التي تعطف عليها وتحيطها بالحنان كأنها شخص مريض عوضاً عن كونها زوجة كايل.

لم يظهر ايضاً عند تناول وجبة الغداء. دقت بريوني باب المكتبة عند الساعة الثالثة والنصف لتخبره انها ذاهبة إلى البلدة حتى تنتظر السفينة التي ستقل سيارتها، بالرغم من انها ستصل بعد اربع ساعات ولكنها تفضل ان تقضي الوقت في كاستلبي عوضاً عن بقائها في المنزل وحيدة لتفكر في كايل بدلاً من ان تفكر بتصاميمها التي اتت من اجلها إلى الجزيرة.

«نعم؟» جاء صوته غير مشجع.

فتحت بريوني الباب واطلت برأسها. قالت له بتهذيب: «انا آسفة لإزعاجك.»

اجابها: «انت لا تزعجيني، ادخلي.» وأبعد كايل الأوراق من امامه ووضعها على جانب المكتب، إشارة إلى انها ستستحوذ على اهتمامه.

دخلت الغرفة الخاصة بـ كايل، غرفة المكتب، الكتب مصفوفة على الرفوف الخشبية المثبتة على اكثر من حائط، مقاعد جلدية مريحة وموقدة مشتعلة وضعت موراغ فيها حطباً كافياً لتقلب طقس بارا في الصيف. كان مكتبه يطل على منظر رائع للشاطىء والصخور كما تظهر بعض الجزر في البحر على المدى البعيد.

قالت تسأله: «هل تكتب كتاباً جديداً؟» محاولة ان تتودد اليه لتتخلص من التوتر الذي يرافقها وترفع العلم الأبيض مستسلمة.

كانت اوراقه مرتبة ومنظر مكتبه النظيف يدل على شخصيته المميزة. هز رأسه وأجاب: «فقط اراجع بعض القصص القصيرة والمقالات من اجل هنريك... بروفسور



بيرجن، انا اجمع المصادر القديمة عن علم الاساطير التابعة لشعب سلتيك. انها مقالات قمت بها منذ سنوات.»

قالت: «آه، لا اعتقد انني قرأت اي منها، لقد بقيت لساعة متأخرة أمس اقرأ.» كانت بريوني تعلم إلى ما سيقود حديثهما وكانت خائفة مما سيحصل ولكنها تابعت: «لم اسمع خطواتك عندما عدت، هل استمتعت بوقتك؟ كنت مع البروفسور كما اعتقد...؟»

قالتها وتمنت لو تبتلعها الأرض، رد عليها: «كلا لم اكن مع البروفسور، ولكني امضيت أمسية سعيدة. شكراً.» ثم حدق بها دون ان يرف له جفن.

هل حقاً تريده ان يعترف لها بأنه كان مع صديقته ليلة أمس... بما انه ما يزال على الأقل متزوجاً؟ راعها موقفها اليائس فتناولت كتاباً عن الطاولة الصغيرة بجانب المقعد.

سألها: «ألم ترينه من قبل؟»

كان سؤال كايل يلزمها على التركيز على الكتاب الذي تناولته، وهو كتابه الجديد. فقالت: «نعم، نعم لقد رأيته. لقد جلبت نسخة منه في شهر نيسان (ابريل).» لقد اشترته من مكتبة مثل باقي القراء بدلاً من اهدائها الطبعة الأولى مثلما حصل مع كتابه الثاني الذي نشر في السنة الأولى من زواجها به.

لقد رأت كايل في مقابلة له على الشاشة وبدا كأنه غير متأثر من جراء انفصاله عنها. قالت: «اعتقد ان كتابك يحتل المرتبة الأولى وانا اهنئك. انه كتاب عظيم.» اضافت ذلك والحزن يملأ قلبها.

اجابها: «انا فخور برأيك عني.»

قالت: «انا لم اقرأه كله، فقط التقارير الملخصة عنه، لم يكن لدي وقت لقراءته كما يجب.» كانت تكذب، وعندما رأت ابتسامة كايل تختفي أرادت ان تتراجع عن كذبتها لتقول له انها قرأته كما قرأت كتبه السابقة التي جعلته كاتباً مشهوراً.

لقد قرأت كتبه واعادت قراءتها مرات عديدة وهي تتخيل سماع صوته في كل كلمة، وكانت تشعر انها تقترب منه ولو حتى في خيالها من شدة شوقها إليه، قالت بسرعة: «لقد جلبت معي نسخة عنه حتى اقرأها في الطائرة.»

تفوهت بكذبة ثانية وسرعان ما علمت انها اهانته. ان كتب كايل ليست للتسلية ولإمضاء الوقت في الطائرة، انها كتب ذات قيمة تاريخية حيث تتجلى فيها وقائع حصلت عبر ثلاثة اجيال لعائلتين قد اجبروا على مغادرة بلاد هبرايدس خلال العصور المظلمة إلى بلاد حديثة وحياة جديدة في اميركا، وكان كتابه الأخير يتكلم عن الحقبة الحالية في اميركا وبلاد هبرايدس حيث اصل جدودهم.

قطب كايل حاجبيه، فقالت: «لم اقصد...» وخفضت نظرها محدقة بالكتاب والغلاف كأنها لم تره من قبل.

سألها: «ما الذي تجدينه جذاباً بالغلاف؟» بدا صوته جدياً.

اجابته: «فستانها... المرأة على الغلاف... انه...»

قاطعها كايل متسائلاً: «فستانها؟» ثم ضحك متابعاً: «نعم بالطبع، كل يرى الأمور من منظاره الخاص.»

فهمت من كلامه انه يعتقدها تافهة ولا تفكر إلا بالملابس حتى لو كان الأمر يتعلق بغلاف الكتاب.

كانت بريوني منزعجة مما لمح إليه ولكنها في ذات



الوقت مرتاحة لأنه قاطعها قبل اتمام حديثها، وهو ان فستان المرأة الأزرق والحريري ينكرها باحد فساتينها التي احبها كايل.

قالت له موضحة: «ما كنت سأقوله هو انك ألبست هيلانة وباقي الشخصيات الأنثوية ثياباً أنيقة.»

قال لها ممتناً: «شكراً. كما تعلمين فأنا احب النساء الأنيقات. انهن دائماً يلفتن نظري وأجدهن جذابات. انهن يجعلن الرجال يودون ان يصلوا إلى المرأة ذاتها.»

كان لحديثه تأثيراً عليها استطاعت بريوني ان تشعر بيديه عليها وعينيه وهو ينظر اليها مباشرة ملاحظاً علو وهبوط صدرها بسبب تنفسها السريع.

سألها: «هل تعتقدين بأنني استطعت ان اصف الأنوثة الساخنة واظهرها في هيلانة وباقي النساء تحت مظهرهم واناقتهم الباردة؟» كانت لهجته وكأنه يسأل تلميذة في صف الأدب في مدرسة الجزيرة.

أومأت برأسها قائلة: «نعم اعتقد ذلك.»

فقال لها: «واستطعت ان تفهمي كل ذلك من دون قراءة الكتاب وفقط من التقارير؟» ورفع حاجبه متابعاً: «انه شيء مشوق.»

«انا.. انا تصفحت الكتاب، ليلة أمس عندما عجزت عن النوم.» بدلت كذبتها بكذبة أخرى.

قال: «افضل من ان تعدي الخراف لتنامي...؟» ثم مد يده ليتناول الكتاب الذي كانت ستضعه على الطاولة.

تقدمت واعطته إياه قائلة: «في الواقع اعتقد انك البستهم كلهم بلباقة وذوق رفيع.»

وشعرت بالغيرة من النساء الوهميات اللواتي كتب عنهن في الكتاب. كان يلبسهن ثياباً تشبه ثيابها، لقد كانت بنظر كايل أنيقة جذابة ومثيرة. هل يراها هكذا؟ لقد فكرت بريوني انها رأت في هيلانة بطلة قصصه تشابهاً كبيراً بها، ولكنها اقنعت نفسها بأنها تتخيل ذلك من شدة شوقها ورغبتها بكايل. ولكنه الآن يؤكد لها انه يستعين بها كموديل.

لقد كتب كتابه عندما كانا سعيدين معاً وكان يحبها... ويحب طريقة ارتداء ثيابها وكل شيء عنها... اما الآن فقد توقف ولم يعد يهتم بها.

«بما أنني لم اكن موجودة في العصر السابق عندما بدأت القصص البطولية القديمة للأبطال الاسكوتلنديين لا ادري كيف اتخيل ذلك. على كل حال لم تستعمل شخصيتي في تأليف كتبك القديمة لأنك لم تعرفني عندها.» قالت ذلك ضاحكة.

اجابها: «اذن لا بد وان اكون قد اخترعتك.» دون ان يبتسم.

لم تفهم ما يعنيه، كان تغيير نبرة صوته وهو يقول لها ذلك يبعث الرجفة في جسدها. لقد خاضا في احاديث شخصية خطرة بعثت الذكريات إلى ذهنها والصور الجميلة الحية مما اتعب اعصابها. فقالت: «حسناً لن اعطلك عن عملك اكثر من هذا لقد اتيت فقط لاخبرك ان سيارتي ستصل اليوم مساءً و...»

قال مقاطعاً: «نعم، اعلم ذلك. لقد اخبرتني قبلاً وسأكون سعيداً لاصطحابك حتى تأتي بها.» تقدم بعرضه بكل تهذيب.



«آه، كلا ليس هذا ما جئت لأجله... شكراً على حال، سوف اذهب إلى كاستلبي الآن وسوف يصل جيمي بسيارته إلى هنا في اية لحظة وعليّ القيام بعدة اشياء في البلدة.» شرحت له وهو ينظر إلى ساعة يده مندهشاً، فتابعت كلامها: «كما ان هناك شخص أود رؤيته.»

وعلمت انها تفوهت بشيء خطأ من نظرتها إلى تعابير وجهه ونظرة عينيه.

سألها ببرودة: «أحقاً؟» ثم نظر إلى الأوراق على مكتبه كأنه يصرفها من الغرفة. جعلها تشعر كطالبة في المدرسة قد طردتها الناظرة من مكتبها، كانت تعني برؤيتها شخص سيدة عجوز تدعى سارا لتسألها عن ثياب هبرايدن وليس مارتين غون كما تصور له. حدقت بريوني في شعره الأسود للحظة ثم استدارت لتخرج من الغرفة كالصاعقة وتنتظر خارج المنزل سيارة الأجرة.

كيف تجرأ كايل؟ ليس من حقه ان يستنتج على ذوقه. تفكيرها في كايل جعلها متوترة وحزينة، وهو على علاقة بايزابيل ماكلويد أو لعله لم يدرك انها تعلم... أو تخمن ذلك... وتساءلت، ما الذي يجري بينهما؟

ان كايل يسخر منها دائماً، وكان تفكيرها به مثل بقية النساء، كانت تراه جذاباً لا يقاوم، طويل القامة داكن اللون جميل الطلة وذكي، مما جعلها تقع في غرامه فوراً وتشعر بعاطفته الصادقة ثم بعد وقت قصير تتجاوب معه بكل عاطفتها.

حتى انها شاطرته ولعه وحبه لجزيرته... عمله، وعملها الذي شجعها عليه وساندها به حتى شهر آذار (مارس)، لقد

استمتع بنجاحها كما استمتعت بنجاحه ولكنها وجدت من الصعوبة ان تصدق انها كانت في خياله قبل ان يتعرف عليها بالأخص انه ترعرع في منطقة نساؤها جميلات وجذابات، نساء هبرايدس... كلهن مثل ايزابيل ماكلويد. وبطلات قصصه كلهن ذات اوصاف نساء هبرايدس، ذوات بشرة سمراء وشعر اسود ما عدا آخر بطلة في كتابه الأخير هيلانة، كانت شقراء من نيويورك عائدة إلى جذورها في بلاد هبرايدس مظهرها وثيابها مثل زوجة الكاتب.

• • •

«آسفة جيمي ماذا كنت تقول؟» استدارت بريوني مع ابتسامة اعتذار لعدم سماعها ما كان يقول، لقد سأل سؤالاً بينما كانت شاردة تحدق في الفضاء الواسع أو في شارع كاستلبي حيث توقف جيمي.

«لقد كنت اسأل ان كنت ستحضرين الاحتفال غداً مساءً، ان حفيدة موراغ هيلا ستقدم عرضاً شيقاً وانا متأكد من انك لن تدعي هذه الفرصة تفوتك.»

قالت: «لست متأكدة إن كنت سأذهب.» واخبرته انها ستغادر الجزيرة قبل الاحتفال الذي احبته السنة الماضية حيث كان كل شيء رائع بينها وبين كايل وشعرت عندها انها تابعة له وللجزيرة.

لم تعد تشعر بهذا الاحساس الآن بالرغم من الابتسامات التي تتلقاها من المارة الذين يرحبون بها دائماً، كانت بريوني ترد على تحياتهم دون معرفة اسمائهم. كانت تعرفهم بوجوههم المألوفة فقط، الجميع يعلمون انها زوجة كايل بوغانان التي تعمل في لندن وتسافر متى تشاء وتعود



متى تشاء. وعندما سيطلقها كايل سوف يطالونها بالكلام ويقفون ضدها ويأملون ان يتزوج كايل من احدى الفتيات المناسبة له من سكان الجزيرة والتي كان عليه ان يتزوجها في البدء...

وجدت بريوني الساعة الرابعة والنصف، انه وقت الشاي، لم ترد ان تزعج السيدة سارا في منزلها، لذا غيرت طريقها وقررت ان تقوم بزيارة إلى القصر الذي يفتح ابوابه لعامة الشعب خلال فصل الصيف للسواح. كان خمسة من السائحين على متن القارب الصغير عندما وصلت إلى المرفأ الصغير بجانب الطريق وحين رأت ان احدهم كان مارتين أرادت ان تعود ادراجها لو لم يلمحها ويسلم عليها.

«مرحبا بريوني، يا لها من مفاجأة سارة.» واخذ يحضر لها مكاناً على المقعد الخشبي بجانبه «كنت آمل ان نلتقي... لقد حاولت الاتصال بك عند...»

هنا قاطعته مازحة: «ألم تقم برحلة إلى القصر بعد؟ يا للعار.» حاولت ان تمزح معه قبل ان يقول منزل الريف واسم كايل.

قال: «نعم لقد زرت القصر، ولكنني كنت ضجراً ففكرت بزيارته مرة أخرى، هل هذه زيارتك الأولى؟»

قالت: «كلا، لقد رأيته سابقاً ايضاً.» وتابعت في فكرها، مع كايل وهو دليل سياحي جيد ويعرف عن القصر اكثر من الجميع.

وصلا إلى القصر خلال دقائق وعند باحة القصر ارتاحت بريوني لأنها ابتعدت عنه.

تابع كلامه: «كنت سأقول لك انني اتصلت بك بالأمس، هل

بوغانان اخبرك؟» بدا كأنه غير مسرور وهو يتابع: «ولكنه حاول ان يبلغك ولم يجدك، لا بد وان الكوخ يبعد عن منزله مسافة طويلة لأنه تركني لوقت طويل حتى رد الخبر.»

«نعم لقد اخبرني انك اتصلت ولم اكن في الكوخ عندها.» لديها الفرصة الآن لاطلاعه على عدم رغبة كايل بسماع صوته مجدداً ولكنها لم تخبره، كانت محرجة لتخبره انها زوجته بما انها أخفت ذلك قبلاً، وهي الآن تشعر بالذنب لوجودها معه بعدما حذرها كايل...

كانت متوترة وخائفة من ان يعلم كايل بالأمر، ولكن حتى لو علم ماذا سيفعل؟ هل سيسجنها في القبو كما كان يحدث في العصور الغابرة؟

بدأ مارتين كلامه عند دخولهم إلى غرفة الطعام: «السبب الذي جعلني اتصل بك هو لأسألك ان تستطيعين تناول العشاء معي الليلة وربما تذهبين معي غداً مساءً إلى احتفال سلتيك؟»

سألها ذلك متأملاً قبولها مع انها كانت تومىء برأسها نفياً.

«انا آسفة، مارتين لن استطيع ذلك. سوف اغادر بارا في الصباح لذا عليّ توضيب اغراضي هذا المساء لأنام باكراً كنت انتظر سيارتي الآتية على ظهر السفينة الليلة حتى اسافر بها غداً.»

شرحت له بإبتسامة لطيفة على وجهها، كانت سعيدة لأن لديها عذر وليس عليها ان تكذب، بدا مارتين متفاجئاً اكثر من منزعج.

«ربما لا تعلمين إذن؟ السفينة لن تصل حتى التاسعة



مساءً ولن تبحر غداً لأن هناك عطل في المحرك ولن تبحر الا ليوم السبت.»

«السبت؟»

اجابها: «بالطبع، لذا لما لا نستمتع بعشاء باكر منتظرين وصول الباخرة ونناقش احتفال الغد ونحن نتناول طعامنا.»

قالت: «رائع.» وهي تفكر بما سمعته، الخبر غير المتوقع، يومان آخران في منزل كايل، قالت له رائع، دون ان تعي ما تقول ووعدته بالعشاء.

لم تكن غلطة مارتين، كانت لتشعر بنفس الشيء بصحبة اي شخص، كان تفكيرها بكايل وكيف سيتقبل مكوثها ليومين ايضاً عنده.

كان مارتين يتحدث بلباقة وذوق ولكنها لم تكن تسمع شيئاً وفجأة وجدته ينظر إلى آخر المطعم نظرت فوجدت ايزابيل ماكلويد واقفة. ناداها مارتين مرحباً، نظرت اليهما واحنت رأسها لمارتين دون ان تبتسم وتابعت سيرها كأنها لم تر بريوني التي حييتها بإيماءة من رأسها بدافع التهذيب.

قال مارتين: «هذه هي ايزابيل ماكلويد.»

اجابته: «نعم.» وهي منزعجة من رؤيتها وكيف انها تجاهلتها بكل وقاحة، ادركت بريوني عندها ان ايزابيل تعلم الآن ان سيدة هايورد هي زوجة كايل بوغانان. سألت مارتين: «هل تعرفها جيداً؟»

«نعم حسناً، كلا ليس جيداً انها من بلدة هاريس ولكنها في بارا منذ نهاية السنة الماضية عندما أتت عائلتها إلى

هنا لإدارة الحانة... انا...» تردد ثم اكمل: «لقد كنت معجباً بها و... حسناً.. اعتقدت ان لدي فرصة لأن أتعرف عليها حتى ادركت انها مهتمة برجل آخر.» كانت ضحكته ممزوجة بالمرارة وهو يتابع: «الرجل الذي تستأجرين الكوخ منه... كايل بوغانان. انه هو الذي تظهر دائماً معه منذ ان اتيت انا إلى هنا.»

ما من احد من اهالي الجزيرة يستطيع اخبارها بهذا الأمر بوجهها ولا حتى مارتين لو علم انها زوجته، ولكنه لم يخبرها شيئاً اكثر من الذي كانت تشعر به وتشك بأمره... منذ اللحظة التي رأت فيها ايزابيل في المطار، لم تفهم بريوني لما شعرت بالصدمة عندما سمعت بالصوت العالي ما كانت تفكر به بصمت.

عادت بعد لحظات إلى طبيعتها هادئة كأن شيئاً جميلاً في داخلها قد مات. آمالها الأخيرة للصلح كما تعتقد هي التي ماتت.



# الفصل الخامس

علمت ان كايل كان وراءها من نظرات موراغ إلى كتفها، لكنها لم تستدر.

«لذا ان استطعت ان تخبري ساره بأنني سأمر عليها بعد الظهر سأكون شاكرة، كنت افضل ان تعلم بمجيئي ولكني لا استطيع ان اتصل بها لعدم وجود هاتف عندها.» كانت تعيد ما تتحدثان به وهي تنتظر ان ينهي كايل مكالمته من مكتبه حتى تستطيع اجراء مكالمة إلى مكتب السفريات لتقوم بالحجز للإبحار يوم السبت.

ردت عليها موراغ: «انها لا تؤمن بالإختراعات والتقنية الحديثة. سأمر عليها بعدما اشتري حاجات المنزل من السوق، والأفضل ان ارحل الآن قبل ان يذهب نيل ويتركني. هل تريدين ان اجلب معي شيئاً لك من البلدة؟»

هزت بريوني رأسها واستدارت لترى كايل واقفاً امام الباب في الجهة الأخرى من الغرفة. قالت: «لا احتاج لشيء يا موراغ شكراً.»

ثم تحرك كايل ليسمح لموراغ بالمرور.

«صباح الخير بريوني.» دخل وهو يضع يديه في جيبيه. وبدا جميلاً كعادته. كيف توقعته ان يبدو؟ مذنباً! قلقاً! لانها علمت عنه وعن ايزابيل...؟ ولكن كايل يجهل انها على علم بالأمر، وحتى ان علم هل سيكون هناك من فرق بالنسبة

اليه؟ هل سيقدم شروحاً ويبدو نادماً...؟ كانت بريوني تشك بالأمر.

قالت له بهدوء: «مرحباً كايل، انا لست على متن السفينة، المحرك معطل ولن تبحر إلا يوم السبت لذا لا استطيع المغادرة قبل يومين.» اخبرته بذلك وليس بالضرورة ان تخبره لأنه من المؤكد ان موراغ اخبرته بذلك صباحاً عند الفطور، كانت بريوني ترغب بإبلاغه بالأمر بنفسها عندما عادت من كاستلبي في الامس ولكنه كان في غرفته والباب مقفل.

«كنت انتظرك لتنتهي من مخابرتك حتى اتصل لأحجز ليوم السبت.»

«نعم، هذا ما فكرت انك ستفعلينه لذا اتصلت انا نيابة عنك.» اخبرها بذلك كأنه قام بخدمة عنها.

هل كان متحمساً لسفرها لدرجة انه اراد الحجز لها على أول سفينة، كم كان يؤلمها تصرفه. شكرته واخذت تراقبه وهو يتجه نحو الموقدة المشتعلة بينما كانت بجانب البيانو عند النافذة المطلة على البحر، ابتسم كايل: «لقد شكرتني قبل ان اتابع حديثي. في رحلة يوم السبت لا يوجد أمكنة.» وتابع نادماً: «حتى نفوذي في المنطقة لم يستطع ان يؤمن لك محلاً.»

لم تفهم لما ضحك مع انها متأكدة بأنه يريدها خارج جزيرته وبسرعة. لكنها شكرته قائلة: «حسناً، شكراً لك للمحاولة، اعلم لو استطعت العثور لي على مكان لما قصرت. متى تصل السفينة التالية؟ الاثنين مساء؟»

سألته ذلك بحماس ليفهم انها هي أيضاً ترغب بالمغادرة والسفر بعيداً عنه كما يرغب هو بالضبط.



اوما كايل برأسه نفياً.

«إذن لقد حجزت لي يوم الثلاثاء؟»

قال: «في الواقع كلا، لأنني لا اعتقد انك تودين السفر على متن سفينة ماشية وخراف فرحلة يوم الثلاثاء لا تنقل الناس المسافرين.» وعندما رأى خيبة أملها ترتسم على وجهها تابع: «على كل حال ان كنت مصممة على ان تكوني على ظهر السفينة يوم الثلاثاء سأحاول ان اتكلم مع شخص للمساعدة.»

تجاهلت بريوني سخريته: «إذا كان لا يوجد يوم الاربعاء رحلة اذاً سأرحل يوم الخميس.» قالتها ببطء وهي تفكر ببرامج ابحار السفن. «اسبوع ويومان...؟»

قال: «بالضبط اسبوع ويومان.» اكد كايل بعدم اهتمام وتوجه نحوها، ابتعدت خطوة صغيرة عنه وهي تفكر بكيفية بقائها سبعة ايام اخرى مع رجل لا يريد رؤيتها امامه. فاصطدمت بالبيانو خلفها وهي تتراجع.

قال: «لا داع للإرتطام باصابع البيانو من شدة حذرك يا بريوني.»

لمعت اسنانه البيضاء وهو يبتسم ثم اضاف: «ليس لدي اية دوافع لاتخاذ بقائك هنا تحت سقف منزلي عذراً حتى أتقرب منك، ان كان هذا ما يدور في خاطرك ويجعلك متوترة وقلقة للبقاء في صحبتي لمدة اسبوع آخر. اعتقد أنني أوضحت لك مسبقاً بأنني قمت بما يتوجب عليّ القيام به حتى انجح زواجنا. لقد سافرت إلى لندن وصبرت بما فيه الكفاية من أجل زوجتي التي تفضل حياتها المثيرة في لندن على حياتها العائلية على جزيرة مضجرة.»

حدقت به بحيرة وبشكل يخلو من التعبير ثم عادت بتفكيرها إلى زواجها الفاشل وتأخير السفينة وظنون كايل المجنونة باتهامها بتفضيل بقائها في لندن بدل العيش على الجزيرة.

أخيراً قالت: «هذا ليس عدلاً وليس حقيقة...» ثم اختفى صوتها عندما ملأت ضحكته الغرفة.

«تعبير خاطىء يا بريوني ليس فقط ليس عدلاً، بل لا يصدق انني اخضعت نفسي لتحمل تصرفاتك، اعتقد انك تكذبين على نفسك وتعزيها.» قلب كلماتها لتصبح ضدها وأشرق وجهه بابتسامة عريضة عندما رأى حيرتها وصدقها.

«ولكنني لم... اقصد لم اكن...» توقفت لم تعد تدري ما تقول أو تشرح، هل كانت غير عادلة معه؟ أم هي لم تكن عادلة من الأساس؟

«انا آسفة ان سببت لك أي إزعاج.» غيرت لهجتها واكملت: «أو إن كنت اعطيتك انطباعاً بأنني سأمكث في بارا وأضع تصاميمي على الحياد. انا انسانة مصممة، ومهما بدا لك ذلك مستحيلاً، انه يجعلني انسانة مبدعة مثلك حين تؤلف كتاباتك.»

كان ينظر اليها كايل كأنه لا يعلم عما تتحدث أو لا يصدقها مما جعلها غاضبة وحانقة، فتابعت: «وان أردت ان استمر بكوني مصممة أزياء، فهذا ليس إلا جزء من حقي، وان كنت ترغب ان ابقى في المنزل كسيدة منزل محاطة بالأطفال إذن للأسف لن انجب كل سنة طفلاً، لهذا تريد الانفصال أليس كذلك؟ لماذا لم تخبرني بما تفكر فيه من



قبل؟ لكان افضل من ان نتزوج ونطلق وأقل مشاكل. كان عليك ان تجرب ذلك قبل ان تتزوجني.» كان صوتها يرتجف من شدة انفعالها.

كان اللون قد غادر وجهه وبقي ناصع البياض مع شعره الأسود وعينيه الداكنتين، ظنت انه سينفجر... ولكنها كانت مخطئة.

فقد ضحك كايل وهو يقول: «ان مجموعتك عن سيلتك القديمة وعاداتها وتقاليدها فكرة ممتازة ولكن أليست غريبة بعض الشيء؟ وان كنت توجهين اتهاماتك لي بأنني سأبقيك عارية القدمين وحامل طيلة الوقت تعملين على آلة الخياطة، إذن كيف تفسرين السنتين والنصف الوقت الذي أمضيته معك في لندن اشجعك على المضي بمستقبل زاهر... ما عدا الستة اشهر التي امضيتها مسافراً إلى لندن ذهاباً وإياباً؟»

كانت تود ان تسأله ولم ليس لثلاثة اشهر أخرى؟ ولكن لم يكن من داع لذلك الآن بعدما علمت ما علمته.

تابع: «كلا، ما قلته لا يلائم ما حصل؟ لذا لا تستمري بوضع كلمات في فمي لم اقلها ولن اتحملها.»

استدار كايل ليخرج من الغرفة، وفي وسط الطريق توقف واستدار ليقول لها بصوت غاضب: «في المرة المقبلة عندما تحبين تناول العشاء في الخارج، تنازلي وتعاطفي مع موراغ واعلميها بالأمر حتى لا تحضره ان كنت لست موجودة لتأكليه.»

احمر وجه بريوني كالطفلة واجابت: «ان كنت تتحدث عن ليلة أمس لقد اعتذرت منها كما انها اخبرتني بأنني لم

أزعجها، وليس من داع لخلق المشاكل لأنني تناولت العشاء في كاستلبي.»

«مع مارتين غون!»

لم يكن يسألها سؤالاً لأنه على علم بالأمر.

اوضحت له: «لقد تناولنا وجبة معاً بينما كنا ننتظر السفينة، نعم.» اعترفت لأن من المؤكد رآها احد الأشخاص وسوف يخبره وبالأخص ايزابيل.

وتابعت: «كما لأننا تصادفنا مبكراً وليس من الصعب ان نلتقي بالآخرين على هذه الجزيرة الصغيرة.» بررت تصرفاتها وكرهت شعورها بالحاجة إلى تقديم الأعذار له، هو الذي لا يستحق شرحها.

ابتسم كايل وقال: «وهذه قصتك، حسناً، ولكن لا تدفعي بحظك اكثر من ذلك وحاولي عدم الاصطدام بأحد بالصدفة خلال الاسبوع المقبل، هل تسمعيني يا بريوني.»

وقفت صامتة تنظر اليه وهو يخرج، لم يصدقها ولم يعد يهمها ان صدقها أم لا ولا حتى شعوره نحوها، ولكن اتهامه لها جرحها بمرارة مع انها تعترف بأنه لم يطلب منها بتاتاً التخلي عن مهنتها ومستقبلها العملي وتتحول إلى سيدة منزل وأم قبل ان تصبح جاهزة لذلك، كما لم تكن بحاجة ليذكرها بمساعدته لها ودعمه أيضاً.

حتى ديريك فرض عليها العمل ثلاثة اشهر اضافية وبسببه تغير كايل. هل حقاً اعتقد انها كانت تستغل عملها حتى لا تعود إلى بارا؟ أو انها استغلت الثلاثة اشهر كعذر لها لتنسحب من الزواج بضمير صافي؟ لن تتأكد ابداً. ولكن في كلا الحالتين النتيجة هي ذاتها، ليس هناك مزيداً من حياة



مشتركة مع كايل... لقد قاسمته إياها يوماً بيوم واحبته وتمنت لو بقيت معه كما تمنى هو. ومازالت تتمنى وترغب به ولكن ايزابيل ستشاركه حياته عوضاً عنها، وكم ارتاحت لأنها لم تلفظ اسمها في وجهه في ساعة غضبها لكان هذا اكبر مما يتحمله كبرياؤها.

• • •

ان الاحتفال السنوي الكبير لا يستدعي إرتداء الثياب الرسمية، فالناس يذهبون إلى الاحتفال وهم يرتدون ملابسهم اليومية العادية، لذا الفستان الأسود الحريري لا يناسب هذا الاحتفال مطلقاً، كان فستانها من مجموعة فساتين قد احضرتها معها لارتدائها في المناسبات الليلية التي تدعى اليها من قبل مدراء شركات مهمين التقتهم من أجل عملها.

كانت تستطيع إرتداؤه لتشد انظار زوجها اليها، فهذا الثوب يظهرها أنيقة، وبما ان كايل يحب الأناقة عند السيدات رفعت شعرها إلى الوراء وعقصته عن آخر الرقبة، وضعت بعض مستحضرات التجميل التي لم تكن تستعمل على الجزيرة من قبل نسائها. ثم انتعلت حذاءً اسود بدون كعب ليناسب الطرقات المليئة بالحجارة الصغيرة، كانت تريد ان تذكره بالمرأة التي وقع في حبها في البداية. بالرغم من انه لا يتحدث اليها إلا نادراً.

لقد كانت دخلت مكتبه هذا الصباح لتعلمه بأنها ذاهبة معه إلى الاحتفال محاولة التقرب منه وإزالة سوء التفاهم بينهما، ولكن ماذا قال كايل حينذاك؟

لم يبد اهتماماً وكل ما نطق به هو انه سيغادر الساعة

الثامنة ان ارادت مرافقته، ولم تره سوى منذ ساعة عند تناولهما طعام العشاء وكانت أول وجبة يتناولانها معاً منذ وصولها. لقد كان بارداً معها ومهذباً كالغرباء، حاولت التحدث معه عن حالة الطقس عندما ساد الصمت لدرجة لم تحتملها.

اما بعد الظهر فقط قضته مع سارة تناقشها وتتحدث معها عن تصاميم المجموعة، حاولت بعدها المكوث في غرفتها لتحاول رسم بعض الخطوط ولكن ذهنها كان مع كايل وعن مكان وجوده، كان يخرج من المنزل عندما تتواجد فيه، يتجنبها دائماً ولم تسأله عن السبب.

«هل أنت جاهزة؟» اتاها صوته مفاجئاً، لقد دخل غرفتها دون إذن منها.

كان جاهزاً ويرتدي بدلة داكنة اللون تليق به، ذكرها بأيام لندن الماضية واناقته الملفتة للنظر، لم تستطع ان ترفع عينيها عنه وبدأ قلبها يخفق بسرعة.

اجابته: «تقريباً.» وعادت تنظر في المرآة التي تجلس قبالتها وتتابع وضع مستحضرات التجميل على وجهها. وضعت قرطاً فضياً على اذنها وعيناها تتابعان كايل وهو يجلس على حافة السرير. كما كان يفعل في الماضي عندما ينتظرها للخروج معاً.

قال: «انت تبدين جميلة للغاية.» ونظر إلى صورتها في المرآة وتشابكت نظراتهما.

«شكراً.» وابتسمت له، مدت يدها لتلتقط قرطها الثاني فأوقعته على الأرض.

انحنت لتلم القرط ولكن كايل وصل إليه قبلها وناولها



إياه، اعادت بريوني خصلة شعرها التي سقطت على كتفها إلى الوراء. واخذت القرط شاكرة لتضعه على اذنها.

قال: «انتظري لحظة، انك لم ترفعي السحاب جيداً.» اعاد شعرها إلى الأمام ووقف وراءها ليرفعه مثله مثل أي زوج يساعد زوجته.

بالكاد بريوني كانت تتنفس عندما مد اصابعه ولمسها كانت تشد على القرط بيدها حتى انغرس في كفها، لم تر انعكاس صورة كايل على المرآة لأنها كانت خائفة من ان يقرأ ما تشعر به في تلك اللحظة.

شكرته عندما رفع السحاب ولم يرد عليها، بقيت يده على أسفل رقبتها ملاحظاً تنفسها البطيء وعدم تحركها، ساد الصمت وساد التوتر معه... كانت تنتظر حركته التالية أو حركتها...؟

كان على احدهما أن يقوم بالخطوة الأولى... أو يقول شيئاً حتى يوقف التوتر الذي اصبح يتزايد بسرعة بينهما، حتى وضع كايل يده الثانية على كتفها. ونظرت إلى وجهه المنعكس على المرآة، تشابكت نظراتهما ثم احنى رأسه إلى رقبتها ولثمها برفق... قامت بالحركة التالية، مالت برقبتها حتى يتمكن من تقبيلها اكثر، اغمضت عينيها وهي تشعر بالسعادة التي اعتادت عليها سابقاً معه. حاولت ملامسة شعره ورأسه فرفعت يدها ولكنه أنزلها، وجدت نفسها واقفة لوحدها... وهو من خلفها يقف مستقيم القامة بعيداً عنها.

نظرت إلى المرآة لتجد وجهها يتضرج احمراراً مع قرط واحد في اذنها والثاني ما زال في يدها. سحبت القرط

بعصبية عن اذنها ورمت بهما على الطاولة بارتباك، لم تعد تعلم من الذي ينهار امام الثاني وعوضاً عن ان تترك الغرفة تركت كايل يوقفها على قدميها ثم يعانقها بين ذراعيه. نسيت العالم من حولها واحاطته بذراعيها وشدت وجهه إليها، لم يكن كايل يلعب الآن آلاعيبه السخيفة معها، كان يطلبها ويريدها بكل وحشية.

اخبرته هناكم تحبه وكم كانت صدمتها قوية عندما نظرت في عينيه وقال: «انا اريدك.» كان يريدها كما كانت تريده... لكنها خافت من ان يقول لها لاحقاً: «من اجل الأيام الماضية.» كيف لها ان تتأكد من انه لن يفعل ذلك؟ وهل وضعهما الآن سيبعد شبح ايزابيل ماكلويد من ذهن كايل إلى الأبد؟

اخذت تهز برأسها رافضة ما يفعله قبل ان تتفوه بالكلام: «كلا كايل. كلا...» همست له ذلك بيأس وهي تفكر، ليس بهذه الطريقة العمياء، ليس لحين اعلم انك تحبني مجدداً، أرادت ان تصرخ وتنسحب منه قبل ان يخونها جسدها وتترك عزة نفسها وكبريائها من أجل ليلة واحدة بين ذراعي كايل ربما لآخر مرة.

امسك بها كايل بقوة وشدها إليه بقسوة حتى شهقت. كانت تريده ولكن عقلها يرفض، امسك بذقنها وشد على وجهها وهو يقول: «لا تحاولي معي مجدداً يا بريوني.»

كان وجهه قريباً لدرجة انها شعرت بأنفاسه على وجنتيها، واعتقدت انه سيقبلها من جديد. وان فعل ذلك فهي بالتأكيد لن تستطيع المقاومة أو الرفض. لكن بدلاً من ذلك قال لها: «لا تبدأي بأي شيء ان كنت لا تنوين القيام به إلى النهاية يا حبيبتي.»



لقد حذرها بكلمة حبيبتي... كان يسخر منها بالطبع. ثم تركها فجأة واخذ يجمع اغراضه المبعثرة في الغرفة ثم تركها ورحل بغضب.

قال لها بصوت صارم: «سأكون بانتظارك تحت.» وذهب دون النظر إليها.

هل هي بدأت بذلك؟ هل جعلت كايل يتقدم للتحرش بها؟ هل كانت تضعه تحت الاختبار؟ لقد اخبرها صباحاً انه لا ينوي ان يقوم بأية محاولة للتحرش بها، ولكن من منهما قام بالحركة الأولى؟ لقد حدث ما حدث بصورة آلية لم تخططله ولا هو كذلك. حركة قادت إلى أخرى... انه حبها له ولكن من ناحيته كانت رغبة فقط... هذا كل ما في الأمر، رغبة فقط.

هل تستعمل هذه الطريقة لإعادته إليها؟ هل تعتقد ان الرغبة هي دليل لزواج ناجح؟ هي لا تعتقد ذلك، لكان زواجهما من انجح الزيجات في العصر، لقد ارادت من كايل اكثر من ذلك وان كان غير قادر على منحها حبه ستنتهي بكره نفسها لحاجتها له وربما بكره كايل لأنه يتلاعب بعواطفها.

أعادت بريوني تسريح شعرها وتحضرت للنزول إلى قاعة الجلوس. فقط كبرياؤها جعلها تنزل وتواجه كايل بالوقت الذي كانت تفضل ان تتخلى عن كل شيء لتبقى في غرفتها ولا تخرج مطلقاً.

كان واقفاً امام الباب. نظر اليها نظرة سريعة ليتأكد من عدم وجود دموع في عينيها حتى لا تبدو امام الناس بحالة سيئة... مظاهر خداعة فقط.

استدارت بريوني كي لا يرى وجهها وخرجت من المنزل بصمت. تبعها دون ان يقول شيئاً وبقيا على هذه الحال طيلة الطريق حتى وصلا إلى الاحتفال. كان مظهرهما وكأنهما ذاهبان إلى جنازة وليس إلى الاحتفال. كانت الجموع المحتشدة امام مبنى المدرسة كثيرة، كان عليه ان يقود إلى الموقف ويركن السيارة هناك ليتابعا اسيرهما على الاقدام إلى حيث الاحتفال. كادت تقع وهي تسير على الطريق المنحدرة، فوراً وضع كايل يده عليها وامسك بيدها. لم تعارض أو تحاول ان تسحب يدها من يده، لأنهما اصبحا قريبان من الناس والعيون تحدق بهما وتراقب قدومهما معاً.



# الفصل السادس

كانت بريوني معتادة على النظرات الحشرية، في بارا أو لندن أو حتى نيويورك. كانا زوجين ملفتا للنظر، كايل بجماله في شعره الداكن وهي ببياض بشرتها وشعرها الأشقر. ولكن هنا في بارا كانت العيون اكثر من حشرية فضولية جداً.

انهم ينظرون اليها لغيابها حوالي السنة عن زوجها ويتساءلون ان تم الطلاق بينهما أم بعد؟ انها تستطيع ان تقرأ الأسئلة في عيونهم خلف الابتسامات... والترحيب المهذب، تساءلت عن كايل... هل يشعر بما تشعره تجاه الجموع الآن؟

لا بد وان البروفسور هنريك بيرجن كان في انتظارهما. ما ان دخلا حتى اقترب مرحباً: «مساء الخير كايل، وآنسة هايورد، اني سعيد برؤيتك مجدداً.»

استطاعت بريوني ان تبتسم له وهي تجيب: «من دواعي سروري ايضاً ان أراك بروفسور بيرجن.» هل مازال لا يعلم انها زوجة كايل؟ أم انه يلازم مناداتها بالاسم الذي عرفت به من قبل ان تتزوج من كايل؟

قال لها: «لم اكن اعلم انك ستأتين مع كايل هذا المساء.» واستدار إلى كايل الذي كان يقول له: «انا سعيد بقدومك يا هنريك.» من دون ان يشرح له كيف جاءت معه ثم ترك يدها وقال: «عليّ ان احجز التذاكر.»

www.liilas-romancia.com

قال هنريك وهو يشير بالتذكرة التي بيده: «لقد حصلت على تذكرتي شكراً.»

اجابه: «حسناً، إذن سأجلب تذاكرنا، اعذرني هنريك، بريوني.»

تركهما وذهب إلى مدخل القاعة وبقيت بريوني تستمع إلى حديث هنريك عن الرحلة التي قام بها إلى جزيرة منغولاي المهجورة في اليوم الفائت.

استمر بحديثه حتى عاد كايل ومعه مارتين غون الذي اصبح بجانبها. وقال: «إذن استطعت المجيء بعد كل شيء. عظيم.»

ابتسمت بريوني وقالت: «مرحبا، مارتين.» ونظرت إلى كايل لترى تعابير وجهه فوجدته يحدق بها ببرودة.

ثم توقفا عن الحديث، مارتين والبرفسور، عندها انتبهت انها لم تقم بالتعريف عن مارتين. لقد وصل كايل ومارتين في نفس الوقت بالصدفة وعليها ان تقدمه. تصافح الرجلان ولاحظت لؤم كايل تجاه مارتين... بسبب عصبية مارتين وضحكه المتزايد. فقط البروفسور لم يكن منتبهاً للتوتر الذي يدور حوله.

قال كايل في اللحظة التي تم فيها التعارف: «اعذروني مرة اخرى.» ورحل بعيداً عنهم، دخل جمعاً كبيراً القاعة وعندما استدارت بريوني لتلقي نظرة وترى أين يكون كايل وجدت امامها ايزابيل ماكلويد، كانت الفتاة تقف وحيدة في وسط القاعة ولا تبعد عنها سوى مسافة قصيرة مما يجعلها قادرة على الاستماع لحديثهم أو الانضمام اليهم اذا شاءت. لكنها بالتأكيد كانت تنتظر من كايل ان ينضم اليها.



راقبت بريوني ابتسامتها التي اضاءت وجهها واعادت الجمال إلى تقاسيمها هذه المرة، نظرت بريوني ايضاً إلى وجه كايل لترى تعابير وجهه ولاحظت الدفء الذي اعتلاه، شعرت بانفاسها تتقطع والألم يمزق جوفها مما تراه. انه تأكيد فقط لما كانت تعلمه سابقاً وسكتت عنه. ومع ذلك كان ألمها كبير تماماً كما شعرت في المطار، لقد لمّحت موراغ لها عنهما وكما قال مارتين البريء. كانت صدمة للحظة وغيرة للحظة، لقد كذبت على نفسها... انها لم تتقبل خيانة كايل وتركه لها ولن تتقبلها.

كانان يتحدثان بلغة غاليك، كانت بريوني تسمع صوتهما ولكن لا تفهم شيئاً من كلماتهما، هل حقاً تريد ان تفهم؟ ألا يكفي رؤيتهما والتغيير الذي بدا على وجه كايل الضاحك الآن بعدما كان متوتراً وهو معها، مبتسماً بدفء وراحة مع ايزابيل، والأخرى تميل عليه كلما تحدثت معه، وكلاهما مشدودان ومنجذبان لبعضهما لدرجة انهما نسيا ما يدور حولهما.

ان منظرهما الهادىء الجميل وحده يجذب الانظار. والحقيقة ان كايل بوغانان من اسياد الجزيرة المعروف مع جميلة الجميلات من فتيات الجزيرة أيضاً، والجميع ينظر اليهما مما زاد العذاب بداخلها. انه بكل جرأة مصاحباً ايزابيل علناً وعلى مقربة منها هي زوجته، ولقد كان منذ دقائق يحاول ان يقنعها بالعودة اليه... بريوني لم تصدق، لم ترد ان تصدق ما كانت عيناها تشاهده. أدارت وجهاً شاحباً تجاه البروفسور وقالت: «آسفة بروفسور...» وحاولت ان تتمالك نفسها امامه.

قال: «ان السيد مارتين يقترح عليّ ان اتسلق التلة خلف بريفيغ لأرى الصخور القديمة...» كان قصده ان يجذبها لحديثه ولكن ما كان منها سوى التحديق في اللاشيء.

«هل انت مهتمة في الصخور الواقفة آنسة هايورد؟»

«صخور واقفة...؟» شعرت بأنها محرجة والضحكة العالية ستخرج من فمها، وحاولت جهدها ان ترد عليه بتهذيب.

«آه نعم بالطبع.» ولكنها لم تستطع ان تحول نظرها عن كايل وايزابيل. كانت تعلم انها تجذب انتباه الآخرين لها عن دون قصد وهي تقف هناك كالصخرة التي يتكلم عنها البروفسور.

امسك البروفسور ذراعها وقال: «علينا ان ندخل الآن.» ولم يكن لديها خيار سوى السماح له بأخذها إلى حيث يقف كايل... وايزابيل التي احنت رأسها سلاماً وانصرفت إلى القاعة.

نظر اليهما كايل ثم تبعها، فبدأ الأمر كأنه مع ايزابيل وليس مع الاشخاص الثلاثة الذين يتبعونه.

وبما ان كايل قد تقدم عنهم كان على هنريك ان يدلهم على المقاعد، كانت المقاعد في الصف الخامس لحقته بريوني ومارتين وكان على ايزابيل وكايل ان يجلسا معهما ولكن عند تأخرهم في الوقوف اتى رجل وامرأة مسنان وجلسا مكانهما، مما ادى إلى ذهاب كايل وايزابيل إلى المقاعد الخالية في الصفوف الأمامية، كانت بريوني تراهما وها هي ايزابيل تميل إلى كايل لتتحدث معه وعندما



اطفئت الأنوار بقيت ترى الرأسيين الداكنين يقتربان من بعضهما للمزيد من الأحاديث.

«أرأيت ما اعنيه عن ايزابيل وبوغانان؟» همس مارتين ذلك في اذنها.

لم تستطع بريوني ان ترى شيئاً من الحفلة الموسيقية من بدايتها إلى نهايتها، ها هي حفيدة موراغ تلعب على قيثارة اسكوتلندية التي طالما بريوني احبت صوتها، وها هي مسرحية الغاليك التي قدمها الاطفال ونالوا عليها التصفيق الحاد.

كان الغناء الجميل يصطحب المسرحية ويشق جدار البؤس والحزن ليدخل إلى قلبها ويجعلها تعيسة.

شعرت بأنها ستبكي الآن وتلألأت الدموع في عينيها ولكنها غضبت من نفسها، لو بدأت بالبكاء الآن فلن تنتهي أبداً. سرت بانتهاء المقطع الموسيقي الحزين وبدأ عزف الموسيقى السكوتلندية الشعبية التي ذكرتها بـ شوني الذي كان يعزفها في كوخه ليتسلى في الليالي الموحشة. هنا بدأت تفكر بكايل وايزابيل وبدأت من حيث انتهت بغضب وألم، كيف يتجرأ ويذلها هكذا علناً؟ انه قاس لدرجة شكت معها انه ليس صحيحاً ما تراه... لقد رتب لملاقاة ايزابيل ومع ذلك قام بخطوات جريئة للتقرب منها في غرفتها. أو سمح لها ان تقوم بها من أجله. في كلا الحالتين الموقف صعب وعزاؤها الوحيد هو انها لم تستسلم له ولم تستسلم لرغبتها.

انتهت المسرحية والحفلة الموسيقية واضيئت الأنوار. نهضت كالآخرين وكان البروفسور يمدح المسرحية ذات

الروح الشعبية الحقيقية بينما مارتين يخبرها عن مدى سعادته لعدم مغادرتها الجزيرة لأسبوع آخر، افترضت بريوني انها اخبرته بذلك دون ان تنتبه ولكنها لم تتذكر. كان مايزال يتحدث وهم يغادرن القاعة وبدا كأنه يتكلم بلغة الغاليك لأنها لم تفهم منه ولا كلمة.

عندما خرج كايل كان مع موراغ وطبيب الجزيرة بجانبه ولم يكن لإيزابيل وجود. تجاهلت قدومه نحوها، وبدت كأنها تركز على حديث مارتين عن فاترسي عندما أدركت انه يقول لها بأنه سيأخذها لتراها بعدما تنتهي رحلتهما يوم السبت.

أية رحلة؟ ما الذي وافقت عليه وهي في هذه الحالة؟ مهما يكن ستعتذر منه لاحقاً، اما الآن فقد تابعت وحديثها وتوديعها للمجتمعين، وهي تبتسم.

وفي اللحظة التي اصبحت فيها وحيدة مع كايل في السيارة عادت إلى بؤسها وصمتها ولم تصدق انه بدأ يعلق على المسرحية بهدوء وسرور كأنه لم يحصل شيء بينهما... لا مشهد في الغرفة... لا وجود ايزابيل تنتظره في القاعة.

في منتصف طريق العودة تحول من الحديث إلى الدندنة، وأخذ يغني إحدى الأغنيات التي سمعاها منذ دقائق. وتقول ثلاثة اشياء تحصل دون ان تطلبها: الحب، الغيرة، الخوف. كأنها مؤلفة فقط لها.

كانت الأغنية التي أرادت ان تبكي عند سماعها ولا بد انه كان يتمتم بها لأنها آخر أغنية غنت في العرض وكانت ما تزال مألوفة لديه. شعرت بريوني انه يقوم بذلك عن قصد ليعذبها.



تحملت في بادىء الأمر ثم فجأة قالت بصوت غاضب: «كايل توقف ارجوك.» مما جعله يدير وجهه عن الطريق لينظر اليها بدهشة.

«ارجوك توقف.» كررت الجملة وأدارت وجهها لتحدق عبر النافذة على التلال والصخور الواقفة التي تحدث عنها البروفسور.

توقف عن الدندنة وعاد الصمت أسوأ مما مضى، لم تنظر إليه بريوني طيلة الطريق مع انها لاحظت انه ينظر إليها من وقت لآخر. وكادت ان تفتح باب السيارة قبل ان يتوقف امام المنزل.

«بريوني، انتظري.» امسك بها كايل من ذراعها وادارها نحوه وهو يقول: «بشأن هذه الأمسية...» تابع بصوت متعب: «انا اعلم انك غاضبة، وأود ان اقول انني لم اقصد ما حصل بهذه الطريقة.»

حدقت به غير مصدقة ثم ضحكت ضحكة صغيرة يائسة، لم تعلم ماذا يدور خلف هذا الوجه الجميل الذي اعتقدت انها تعرفه وتحبه... ومازالت تحبه... والذي اذلها وآلمها، والآن يتصرف معها كأن شيئاً لم يكن.

لم تعرف ما تقول له سوى: «لدي ألم في الرأس يا كايل وأود ان اذهب مباشرة إلى غرفتي ان كنت لا تمانع.»

أراد ان يقول شيئاً آخر وبدا منزعجاً... أو محتاراً... لأنها تجاهلت اعتذاره ورغبت ان تضربه... أو ربما تنهار وتبكي أمامه لو لم تذهب فوراً.

«دعني اذهب كايل، ارجوك.» طلبت منه ذلك بهمس، وعندما افلت يدها خرجت من السيارة وركضت إلى المنزل.

لأول مرة منذ وصولها إلى بارا نامت فور وضع رأسها على الوسادة. اقفلت ذهنها عن كل ما حصل معها في تلك الليلة... كايل، ايزابيل.

نامت بسرعة وهدوء عندما لمس رأسها الوسادة واستيقظت في الصباح التالي غير نضرة... شاردة، بقيت متمددة تستمع إلى زغردة العصافير وثغاء الخراف وخرير المياه التي ترتطم بالصخور.

نظرت عبر النافذة فرأت السماء رمادية على عكس اليوم السابق. لم تنزعج بريوني من الطقس لأنها تحب اللون الرمادي والمطر حتى الرياح القوية.

هكذا كانت تتذكر الجزيرة عندما زارتها لأول مرة مع كايل... في اسبوعها الأول معه.. امضت وقتها في السير على شاطىء البحر الهائج ومراقبة هطول الأمطار على النوافذ وهي جالسة امام المدفأة معه تتحدث عن كل شيء وتشعر بالدفء والأمان. وفكرت في كل ما كانت تتمناه على هذه الجزيرة الصغيرة، المنزل الذي يضم اطفالها وكايل والأحلام التي لم تتحقق لعدم وجود الفرصة.

هل اخطأت بتأجيل انجاب الاطفال ورغبتها بإتمام عملها حتى تحظى بمستقبل مهني كما أرادته؟ عملها الذي ابعدها عن كايل والجزيرة طويلاً مما جعله يهتم بإمرأة أخرى من شدة وحدته كما لمحت موراغ... الوحدة التي شعرت بها وهي بعيدة عن كايل وستشعر بها باقي حياتها عندما تترك بارا الاسبوع المقبل بعد ستة ايام.

ستة ايام مع كايل، عليها ان تتحمل... لم تعد بريوني



تعلم كيف تشعر. الليلة الماضية شعرت بنفسها مذلولة من منظر كايل وايزابيل معاً.

ورغبت لو تتعلق بجناح أي طائرة تحملها بعيداً عن الجزيرة واما اليوم فغضبها وألمها زالا ولم تعد تشعر سوى بالفراغ والتعب من كل شيء، هل من الممكن ان يتقوقع ذهنها وعقلها ويتراجع عن المواجهة وتصبح شاردة في لا شيء؟

كانت ساعة المطبخ تشير إلى الحادية عشرة، موراغ غير موجودة أو ربما في شقتها الصغيرة المتصلة بالمطبخ فتحت الثلاجة وحضرت لنفسها فطوراً شهياً وأكلت بنهم لم تعهده من قبل، مرت بالقرب من مكتب كايل حيث كان موجوداً فيه واخذت معطفه الواقي للمطر لترتديه فوق ثيابها.

ثم وضعت بعض الأوراق للرسم وخرجت من الباب الخلفي إلى الشاطىء الصخري. سارت وسارت تواجه الرياح العتيدة. لم تدر كم من الوقت سارت لأنها لم تضع ساعة يدها. وأرادت ان تقوم بما يحلو لها غير آبهة للوقت، بعد ئذ اتخذت من الصخور الناتئة الموجودة على الشاطىء مكاناً تجلس عليه.

وبدأت صور الثياب تأتي إلى مخيلتها وترسمها على الورق، فساتين وبدلات ومعاطف من الكشمير بألوان زاهية اغلبيتها باللون الأزرق والبنفسجي والزهري وقد رسمتهم جميعاً على امرأة جميلة طويلة القامة سمراء اللون تقف على طريق ضيقة في نيويورك والقصر وراءها. عندما توقفت عن الرسم تسمّرت عيناها على المرأة التي رسمتها ولدهشتها لقد كانت ايزابيل ماكلويد، لم تكن عادة ترسم

الوجوه في رسوماتها اما الآن فأكملت وجهها، ثم جلست ساعات تتأمل البحر.

ان مجموعة هبرايدن هي مجموعة ايزابيل، كل تصميم قامت به كانت ايزابيل في ذهنها وتفكيرها، ايزابيل في اللون الأسود وفي الكشمير الابيض... ها هي ايزابيل قد اصبحت في عملها كأنه لم يكن كافياً ان تكون دخيلة في حياتها الزوجية.

وضعت بريوني الرسومات في جيب المعطف واخذت تسير على الصخور لتصل إلى المنحدر المؤدي إلى المنزل. وعندما اقتربت وجدت كايل منتظراً ويتقدم نحوها. عاد فوراً ألمها اليها مصاحباً ذكرياتها عن ليلة أمس. حين كان جالساً في المسرح مع ايزابيل.

قال لها كايل بصوت كله اهتمام مثل موراغ عندما تخاف عليها من ان تمرض.

«ما الذي كنت تفعلينه؟ انها الساعة الخامسة ولقد امضيت ساعات هنا، سوف تأخذين برداً وتمرضين الآن. كفاك مكوثاً خارج البيت والسير في الرياح.»

كان اهتمامه بها ظاهراً، لكنها اجابته دون اكتراث: «سأحاول ان لا ابقى بين يديك عديمة النفع.» رددت كلماته التي قالها لها عندما كانت في كوخ شوني عند هبوب العاصفة. وتابعت: «نعم اعلم أن مظهري يبدو في فوضى تامة.»

ونظرت إلى شعرها الذي لعبت فيه الرياح لفترة طويلة. رفع يده كايل ليلمسه ثم توقف فجأة، كان يحب شعرها الأشقر كثيراً وقد اعتاد ان يضمه ويقبله سابقاً ويمرر



اصابعه من خلاله، لم تكن سوى عادة اعتادها من قبل وهي الآن تريد ان تقطع كل ما يربطها بماضيها معه.

قال عندما رآها ترتجف: «ان موراغ وضعت الشاي في مكتبي والنار مشتعلة هناك ادخلي وتدفئي.»

ترددت بريوني: «نعم حسناً.» ثم لقد وافقت كأن ليلة أمس لم يحصل فيها شيء، سوف تتعامل معه كالغرباء من الآن وصاعداً، وبكل تهذيب طالما هي موجودة تحت سقف منزله. وشكرته عندما ساعدها في خلع المعطف ووضعه على المقعد الجلدي.

كان مكتب كايل جميلاً في أي وقت، مريحاً ودافئاً وفيه ذكريات لا تريد ان تتذكرها.

«معجنات! يا للروعة انا احب معجنات موراغ.»

كان حماسها مزيفاً، اسرعت وصبت الشاي له اولاً ثم لها، كان يراقبها مثل ايام زمان عندما كانا مع بعضهما. لا بد وانه كان يراقبها من النافذة المطلة على الشاطىء حيث امضت فترة بعد الظهر. بدأ كايل يتحدث عن كتاباته، بموضوع حيادي، واخبرها عن مسرحية قد بدأها وسوف تعرض في لندن.

قالت مستغربة: «لندن؟»

ابتسم لدهشتها وقال: «اعتقد انني كتبت عن الهبرايدس ما يكفي واريد ان اجرب شيئاً جديداً مختلفاً... ان اوسع آفاقي واترك السلتيك للبروفسور هنريك لفترة، على فكرة لقد دعوته إلى العشاء غداً.» تركت بريوني النافذة وجلست امام الموقدة دون ان تقول شيئاً.

جلس كايل بدوره وقال لها: «سنحاول ان لا نضجرك

باحاديثنا عن الآثار القديمة والقصص الخرافية ان كان هذا ما يشغلك.»

لم يكن هذا ما يشغل بالها، وانه لغير المعقول ان لا يعرف ما يقلقها، هل يتوقع منها ان تلعب دور الزوجة المضيفة بعدما فعل بها ليلة أمس.

يريدها ان تتصرف كالزوجة ليحافظ على المظاهر الكذابة امام ضيوفه. سوف تقوم بما يطلبه منها فقط لسبب بسيط وهو ان هي رفضت فلن تكون متأكدة من نفسها بعدم البوح بالسبب الحقيقي.



# الفصل السابع

«نعم، حسناً سأحاول ان اعود في الوقت المناسب ولكني لا اعدك.» وضعت بريوني فنجان الشاي ونهضت.

«تعودين من أين؟»

«من موعدي المسبق.»

قال يسألها: «أي موعد؟» وتغير صوته كأنه تكهن لوحده وعلم مع من الموعد.

كانت بريوني قد وصلت إلى الباب عندما قالت: «مع مارتين غون. لقد رتبت أن امضي النهار معه في فاتيرساي غداً.»

كانت تكلمه وهي خارجة من الغرفة فلحق بها وامسك بذراعها قائلاً: «ليس بهذه السرعة يا بريوني. اننا لم ننته بعد من مناقشتنا، أو انك تعتقدين اننا سنتهيها في غرفة النوم؟» ثم تابع ساخراً: «لا اعتقد ذلك.» وضحك حين رآها تبتعد عنه مجفلة ثم تابع: «على كل حال، لقد فكرت بأنه عليك ان لا تعتمدي كثيراً على حظك مع مارتين. ربما صدقت قصتك بأنك التقيته صدفة ولكني لن اصدق قصصك التي ستؤلفينها من الآن وصاعداً. ومما اعرفه انك تماديت ليلة أمس اكثر من اللزوم دون ان اذكرك بأخلاقي العالية وصداقتي تجاه الزائرين لهذه الجزيرة.»

صداقته؟ ضحكت بريوني من هذه الكلمة التي وصف فيها نفسه تجاه مارتين المسكين.

www.elromancia.com

ابتسم كايل وقال: «تجدين هذا مسلياً اليس كذلك؟ مسلياً ان تقدميني وتعرفيني على الرجل الذي لم احتمل رؤيته ولا مقابلتك له مجدداً.»

قالت: «انا لم...»

قاطعها: «انت لست في لندن الآن ومهما كانت الترتيبات التي قمت بها معه عليك الغائها، لأنني لا ارضى ان تجعل زوجتي مني مغفلاً أو تجعل من نفسها مغفلة.»

لم تسمع بحياتها بريوني هذه الصفات التي تطالها وحدها فقط ولا تطاله هو.

فقالت: «ولكن لا بأس عليك انت ان تجعل مني مغفلة؟» قالت له ذلك وهو ينزل السلالم.

استدار فجأة عابساً «عما تتحدثين؟» سألها ذلك كأنه لا يعلم ما يدور بذهنها.

ودت لو تبوح بإسم ايزابيل في وجهه. أخيراً عضت على شفتيها بقوة حتى لا تفتح فاهها وتخرج الكلمات التي ستندم عليها ان قالتها.

قال: «تابعي، اني امنحك انتباهي التام.» شجعها بسخرية كأنه يعلم ما الذي ستقوله.

هزت رأسها واستدارت لتصعد السلالم إلى غرفتها وتقفل الباب وراءها، كانت ترتجف لكونها على وشك ان تجعل من نفسها الزوجة الغيورة وتصبح في مأزق ذليل وموقف كريه. ماذا كانا يفعلان ببعضهما؟ لماذا اصبحت علاقتهما التي بدأت بالحب والعناية شيئاً كريهاً لا يريدان سوى اذية بعضهما. لقد تغيرا واصبحا كالغرباء، لم تعد بريوني تعرف نفسها المتوترة دائماً والمتألمة واليائسة



بسبب صد ورفض كايل لها. لم تعد تعرف كايل الساخر... المتكبر المغرور الذي يصادق علناً ايزابيل ويعاملها كالزوج الآتي من العصور الغابرة.

بالطبع لم تكن تنوي رؤية مارتين غداً، ولم تعرف السبب الذي لم يجعله يتصل بها بخصوص الرحلة، لقد اخذت منه رقم هاتفه بالأمس واتصلت به بعد خروج كايل من المنزل، لقد علم انها زوجة بوغانان مثل باقي سكان الجزيرة ولم يكن لديه رغبة بالخروج معها مثلها بالضبط.

ولا بد أنه علم بالخبر من البروفسور هنريك بيرجين بعد الاحتفال حين خرجا مع بعضهما. وقال لها: «لقد جعلتني ابدو كالمغفل يا بريوني.» وكل ما قامت به هو الاعتذار منه واقفال الخط. في جميع الاحوال لم يكن مارتين مهتماً بها، لقد كان يريد استغلالها حتى ترى ايزابيل انه يستطيع الخروج مع امرأة جميلة ويلفت نظرها إليه، كما أراد ان يشعل غيرة ايزابيل. ولكن... يا لمارتين المسكين، فإن ايزابيل مهتمة بغيره.

استيقظت صباحاً وتركت المنزل عند الساعة التاسعة والنصف واغلقت الباب وراءها بعنف حتى يسمعها كايل تغادر ويظن انها ستمضي النهار مع مارتين. ويغار عليها...؟ كلا، بل سيغضب منها.

صممت على السير في الجهة الغربية من الجزيرة حتى لا تلتقي بكايل. وما ان اصبح الوقت بعد الظهر حتى شعرت بجوع قاتل ورغبت بالعودة إلى منزل الريف ولكنها وجدت بالصدفة بقالة بجانب برج متهدم أو ما تبقى منه لم يكن على البحر مثل قصر كيزيمول.

بعدما تبادلت الكلمات المتعلقة بحال الطقس مع البائع الذي اخبرها بسروره لعودتها إلى الجزيرة مثل باقي السكان ما عدا ايزابيل بالطبع، اشترت بعض البسكويت واكلتهم وهي تراقب الفقمات على خليج سيال ثم تابعت سيرها إلى مبنى شيل بهارا في الجهة الشمالية من الجزيرة، نظرت من بابها فوجدت العديد من السائحين يتجولون داخلها فعادت ادراجها إلى السيارة وقادتها إلى المنزل.

كانت الساعة الرابعة والنصف، اعتبرت بريوني ان البروفسور سيأتي عند السابعة والنصف أو الثامنة مما يعني أن عليها قضاء ثلاث ساعات أخرى بعيدة عن كايل. دخلت المنزل بهدوء ليس كما خرجت منه وقفزت مرتعبة غير متوقعة ان يفتح كايل باب غرفة الجلوس ويمسكها وهي مسرعة لتصعد إلى غرفتها.

«مرحبا كايل، لقد افزعتني.» كذبت مازحة وهي تنظر إلى وجهه المتجهم ثم قالت: «سأنزل عندما يصل البروفسور.» قالتها من أعلى السلالم وفرحت عند سماعها الباب يغلق بقوة وانه لن يلحقها.

عند الساعة السابعة نزلت لتتأكد مما اعدته موراغ لوجبة العشاء كما كانت تفعل في الماضي. الكركند الطازج وسمك السلمون من المزرعة القريبة للأسماك حتى ان موراغ رتبت المائدة حيث تفقدتها بريوني، وسمعت صوت محرك سيارة البروفسور قادمة، فالتحقت بزوجها في القاعة لاستقباله في آخر لحظة.

كانت ترتدي فستانها الأسود مجدداً اما كايل فكان يضع



ربطة عنقه ويرتدي الجاكيت. وعند رؤيتهما البروفسور بدأ كل واحد منهما يلعب دور الزوج والمضيف بلباقة. بعدها امضيا الأمسية بكل راحة وتسلية وحاولت ان تكون مضيافة ولكنها تركت الحديث يدور بين كايل والبروفسور، كانت تعلم انهما يقومان بعرض امام الضيف وبالرغم من ذلك تذكرت ايامها الماضية معه وكانت سعيدة بالأمسية كالماضي.

عند انتهاء الوجبة استدار هنريك اليها وقال: «انني نادماً وآسفاً اذ انا والسائحين منعناك اليوم من زيارة شيل بهارا بعد الظهر.»

نظر اليها كايل وظهرت ابتسامة صغيرة على شفتيه، وكادت بريوني ان ترفسه بقدمها من تحت الطاولة حتى يصمت ولكنها خجلت.

شجعه كايل ليكمل حديثه بقوله: «بعد ظهر هذا اليوم يا هنريك...؟»

فأجابه: «نعم بعد ظهر هذا اليوم يا كايل. كما ترى، لقد عرضت على السائحين ان اكون مرشداً لهم، فهم اميركيين ينزلون في الفندق الذي انزل به. وكما تعلم فأنا مهتم بجزيرة بارا منذ سنوات وكنت سعيداً باصطحابهم وشرح تاريخ المعبد والأحجار القديمة الموجودة هناك.»

سألها كايل: «وهل كنت مع جماعة هنريك يا بريوني؟»

اجابه البرفسور: «كلا كايل، لقد اسأت فهمي، ان الآنسة هاي... السيدة.. بريوني...» احتار بما يسميها وتابع مبتسماً: «بريوني وصلت لوحدها ولكنها عادت عندما

وجدت المعبد يعج بالسائحين.» التفت إليها وسألها: «لم تلاحظيني بينهم؟»

قالت: «كلا آسفة، هل نذهب إلى غرفة الجلوس الآن؟» واحمر وجهها وتمنت ان لا يلاحظها كايل على ضوء الشموع، وقفت وحاولت ألا تنظر إلى عيني كايل وتوجهت بكلامها إلى البروفسور قائلة: «انت لا تمانع ان اعتذرت عن تمضية باقي الأمسية معكما، لدي صداع وانا متأكدة بأن لديكما ما تناقشانه مع بعضكما.» تمنت لهما ليلة سعيدة وصافحت البروفسور معتذرة.

هنا امسكها زوجها وطبع على وجنتها قبلة متمنياً لها ليلة سعيدة.

قبلة عادية بين زوج وزوجته ولكنها شعرت ان كايل يحب المظاهر الخداعة وانه يثبت لضيفه ان كل شيء على مايرام معاً، جعلتها القبلة تفكر به طيلة الوقت وهي تتهيأ للنوم.

بالطبع لم يكن هنريك يقصد ان يفشي سرها، لقد تحدث بعفوية ولكن حديثه جعلها محرجة امام كايل وكشف كذبتها. سألت نفسها، هل كايل سيحدثها عن الأمر أو يكتفي بما علمه من هنريك ويرتاح لأنها لم تخالف أمره وترى مارتين؟

• • •

جلست عند الصباح متكئة على وسادتها تنظر إلى المطر المتساقط على النافذة عندما دخل كايل غرفتها بعدما امهلها دقيقة بعد أن طرق على الباب. سحبت الغطاء إلى



رقبتها وكتفيها، ونظرت إليه. كان خارجاً من الحمام مبتلاً وكانت تنتظر خروجه لتأخذ حماماً.

سألها: «هل خف ألم رأسك؟ عليك الانتباه إلى صحتك يا بريوني، انها المرة الثانية في وقت قصير.»

عندما هزت رأسها وقع عنها الغطاء فأعادته بسرعة مرتبكة. رفع حاجبيه مستغرباً من تصرفاتها. فهي ترتدي بيجاما بنية اللون تغطي جسدها كله وليس قميص نوم شفاف لتقوم بتلك الحركات، كأنه لم يرها نائمة من قبل. جلس بجانبها على السرير وفاحت منه رائحة الصابون، امسكت بيديها جيداً لأنها شعرت بحاجة ماسة لأن تمرر اصابعها على صدره كما كانت تفعل قبلاً.

«لماذا كذبت علي بشأن مارتين وفاتيرساي؟» وامسك بذقنها عندما حاولت ان تدير وجهها عنه. نظر في عينيها وسألها: «هل كنت تحاولين ان تزرعي بي الغيرة؟» لم تجب على سؤاله، ولكنه عرف من ابتسامتها انه محق. وضحك بدوره لأنه عرف ما يجول في خاطرها. اخذ يلامس براحة يده وجنتيها ويراقبها.

قالت معترضة: «لا تفعل يا كايل.» وازاحت يده بيدها بعصبية فتشابكت اصابعهما على السرير.

قالت بريوني بصوت غاضب: «ان البروفسور ليس هنا يا كايل، لا داع للتمثيل.»

قال: «ما الذي تقولينه؟»

قالت: «اتكلم عن العرض الذي قمنا به أمس. المسرحية العاطفية التي قمت بها امام هنريك بالأمس. انا لا احب التمثيل.»

قال وهو يداعب بإبهامه رسغها: «ولكن هذا خاص بنا وانت تحبينه.»

نعم وهي تكره نفسها لضعفها امامه، ما يفعله كايل لا يتعلق بالعاطفة أو الحب. انه يلعب ألاعيب ويستغل حبها.

قالت له: «لا تمدح نفسك كثيراً يا كايل.»

قال: «وهل انا افعل ذلك؟» ترك يدها وسألها: «إذن لماذا كذبت عليّ؟»

اجابت: «لم تكن كذبة، كنت انوي الذهاب ولكني غيرت رأيي. اعتقد بأن لدي كل الحق لو اردت الذهاب. صحيح انك زوجي ولكني لا اتقبل منك الأوامر وسأفعل ما يحلو لي، متى يحلو لي ومع الشخص الذي أريده.»

بهذه الكذبة الكبيرة التي تفوهت بها رغبت بكل قوتها ان تجعله يغار عليها.

اجابها: «أو لم تقومي بذلك دائماً... عندما يحلو لك ومع الذي تريدينه؟» تحداها كايل فجأة والمرارة تظهر واضحة في نبرة صوته.

كل عضلة من عضلات جسمها استنفرت فوراً لتدافع عن نفسها. اتهاماته غير المبنية على أسس وظلمه وتعديه عليها جعلتها تنتفض من الصدمة.

فهم كايل ما قام به ونهض فجأة للانسحاب من مواجهتها. ذهب إلى النافذة وراقب المطر ينهمر بصمت بينما بريوني تراقبه.

سألها وهو يستدير ليواجهها: «اذن ما هي مشاريعك لهذا اليوم؟»

«سأقوم ببعض العمل... بخصوص تصاميمي.» كانت



تنتظر ان يرتجف فكه الأسفل لسماعه كلمة عملها ولكنه لم يتحرك.

فتابعت: «لقد قمت ببعض الرسوم الاولية وسوف أرى ما نوع القماش الذي سأستعمله لكل زي.»

قال: «إذن احرصي على ان تكون الموقدة مشتعلة ان كنت ستعملين فوق في احدى غرف الطابق العلوي حيث المناظر الموحية.»

كانت السخرية واضحة في كل كلمة ينطق بها ولكنها اجابته: «العمل في الطابق العلوي أو هنا، كل الغرف متشابهة بالنسبة الي.»

«حسناً، كما تريدين ولكن دفئي نفسك جيداً.»

قالت له بأدب: «شكراً لك.»

وهكذا بقيا ليومين كاملين في المنزل كالغرباء مع بعضهما، لم يتجنبها أو يخرج من المنزل وفي الوقت نفسه لم يحاول ان يبحث عنها، والوقت الوحيد الذي كانا يجتمعان به هو عند وجبات الطعام، حيث يسألها عن عملها وهي تسأله عن عمله. كانت احاديثهما عادية، عن العمل والطقس، مثل الغرباء المحجوزين في منزل واحد من جراء هطول المطر المتواصل. وحين يفترقا كانت تمضي ساعات طويلة وهي تعد تصاميم المجموعة الرائعة التي ستنجح بدون شك. شعرت بالتوتر يزول بينهما وحتى غضبهما ورغبتهما المتبادلة.

كانت وهي تجلس امامه في غرفة الطعام تتساءل، هل صحيح ما حدث بينهما في الأسبوع الماضي؟ أو هي تتخيل تلك الأحداث! وفي بعض الاحيان، حين كانت تنظر إلى كايل

كانت ترى عينيه تتأملانها بشرود وكأنه يفكر ويسأل نفسه مثل اسئلتها.

صباح الثلاثاء كان الطقس جميلاً والسماء زرقاء والشمس ساطعة. نظرت من نافذة غرفتها إلى الشاطىء والمنحدر حيث كايل يتمشى هناك كما كان يراقبها وهي تتمشى من غرفة مكتبه.

مازال هناك بعض النسمات الخفيفة بعد الرياح العاصفة التي هبت ليومين، وكانت النسمات تتلاعب بشعر كايل بشكل جميل. كان يمشي ويديه في جيبيه، شعرت بريوني في تلك اللحظة انها بعيدة عن حياته وخارج احلامه وتفكيره.

سألها عند الإفطار: «هل تودين ان تأتي لحضور التاتيس وهارينغ في هذه الليلة؟»

انه يطلب منها الخروج معه...؟ وماذا عن ايزابيل؟

سألته عوضاً عن الاجابة على سؤاله: «أتعني عشاء مع عرض للفرقة نفسها التي ذهبنا اليها العام الفائت؟»

اجابها: «نعم. وعندما تشاهدينها ستستمتعين بها وتنسين همومك.» وفكر كايل ان الخروج هذا المساء افضل من البقاء في البيت.

لم تستطع بريوني ان تمنع ضحكتها العفوية التي صدرت منها وقالت: «لقد احببت تلك الفرقة واستمتعت حقاً بالاستعراض الذي قدمته.»

قال وهو يبتسم: «ولكنك لم تستمتعي بالطعام. على كل حال سيقدمون هذه السنة طبق بونتاتا آغوس سغادان، واعلم انك احببت هذا الطبق عندما قدمته لك موراغ، بالاضافة إلى ذلك سيكون تغييراً لنا من البقاء في المنزل.»



هل من المعقول ان يرغب بالذهاب معها بالرغم من وجود شخص آخر؟ قاومت بريوني رغبتها بالسؤال عن ذلك وقالت: «هل... هنريك سيكون هناك؟» بدلت الأسماء.

قال: «اشك بأي احتفال يقوم ولا يكون هنريك مشتركاً به. انه يهتم اهتماماً كبيراً بكل ما يتعلق بحضارة الهبرايدس ولغة الغاليك والموسيقى الخاصة بها. بالطبع سيكون هناك.» اكد لها كايل كلامه مبتسماً.

لم يكن يهمها كون البروفسور هناك أم لا. وسألته: «هل ايزابيل ستكون هناك الليلة...؟» تأملت ان يكون سؤالها له وقع عادي عليه، حدقت بريوني في وجه كايل، واخذت تراقب ان كان يوجد توتر أو ذنب أو أي شيء على وجهه، ولكنها لم تر شيئاً، ان كايل كان دائماً ممتازاً في السيطرة على نفسه.

رد بدون اهتمام: «اتوقع ذلك.» تابع وهو يخفي ابتسامة كادت ان تظهر على شفتيه: «ستكون مع مئة شخص آخرين.»

قالت: «شكراً، اقصد كل شيء يبدو رائعاً... ولكنني لن اذهب، وشكراً على اي حال، انا اخاف ان...»

قال: «لن اقبل بأن تقولي لي انه لديك صداع هذه المرة بدون ان تستشيري طبيباً، يا بريوني.»

بعد مرور يومين فقط، بدا من طريقة كلامه ولهجة صوته حريصاً عليها ومهتماً بها.

ردت بريوني بعدما رأت ابتسامته الساخرة: «كنت اعتقد انك تطلب رأيي في الخروج معك ولدي الحق بان اقبل أو ارفض، ولكنك تصر على خروجي معك.»

قال: «نعم كنت اطلب، ولكن اذا اردت الرفض فأنا اصر.» وضحك كأنه يعلم انه قادر على اجبارها للقيام بأي شيء أو الذهاب معه إلى أي مكان يريده.

قالت: «بصراحة يا كايل، اعتقد بأنك تنسى احياناً في اي عصر تعيش. نعم موراغ، نحن انتهينا.» نظرت إلى المرأة العجوز المبتسمة والسعيدة لرؤيتهما مع بعض مجدداً والتي قالت: «هل ستبقيان لتناول العشاء الليلة يا احبائي؟» وابتسمت لهما وهي تنظف الطاولة.

نظرت بريوني إلى كايل ثم إلى موراغ واجابت: «كلا. كايل وانا سنذهب لحضور التاتيس وهارينغ مساءً.»

ماذا عساها تفعل؟ سألت بريوني نفسها وهي تنتظر في القاعة حضور كايل حتى لا يتكرر ما حصل لهما يوم احتفال السلتيك في غرفتها. بالطبع كايل لم يجبرها على الذهاب معه ولكنها لو بقيت في المنزل سيذهب بمفرده وستبقى هي في حال غير محتملة تتخيل كايل وايزابيل، من الأفضل ان تذهب معه وتراه معها عوضاً عن المكوث في البيت والتفكير فيهما.

نزل كايل السلالم وهو يقول: «هل تأخرت عليك؟»

أجابته: «كلا، لقد جهزت نفسي مبكراً وكان عليّ القيام بأشياء في الطابق الأسفل.» كذبت وهي تنظر اليه معجبة بمظهره وجماله الخلاب كأنها مدمنة على رؤيته... هكذا كانت تراه خطراً عليها انما لا تستطيع ان تتوقف أو تبتعد عنه.

قال: «تبدين جميلة.» كانت ترتدي فستانها الحريري الأبيض والأسود البسيط الأنيق بكميه الطويلين وفتحة



العنق الواسعة. كان شعرها مغقوصاً إلى الوراء عند آخر العنق.

قالت متمتمة: «شكراً.» منزعجة من نفسها لقراءة الاعجاب في عيني كايل... بسبب كونها بائسة لأنها تعرف ما يفكر به وخائفة بنفس الوقت مما يخفيه لها المستقبل والذي سيقدمه كايل.

www.elromancia.com

# الفصل الثامن

لم تكن ايزابيل ماكلويد على مرآى منها. كان هذا أول ما لاحظته بريوني عند دخولها القاعة الصغيرة. وتابعت مراقبتها بينما كان كايل يأخذها بيدها من مجموعة إلى أخرى من الناس ليتبادلوا اطراف الحديث.

كان يحيطها بذراعه حول خصرها النحيل. وبدا طبيعياً ومرحاً في حركاته. كانت بريوني تعلم أنه فقط عرض ومظاهر خادعة أمام المجتمع حتى يعتقد الجميع أنهما على خير ما يرام. ولكنها بالرغم من ذلك كانت سعيدة بوضع ذراعه حول خصرها ومرتاحة كأنها تستعيد مكانها بين أهالي الجزيرة من جديد. مكانها المؤقت كزوجة كايل.

النشاطات الاجتماعية في الجزيرة تبدأ عادة متأخرة في الصيف. حوالي الساعة العاشرة. أما هذه الحفلة فكانت ستبدأ عند الساعة التاسعة ولكنها بدأت عند التاسعة والنصف ريثما جلس الجميع على مقاعدهم. حتى الآن لم تظهر ايزابيل. شعرت بريوني براحة عظيمة وأن أمسيتها ستكون ناجحة وتوقفت عن النظر باتجاه باب المدخل كلما رأت حركة بالقرب منه.

قالت لكايل: «لقد اشتقت إلى مثل هذه الجلسات.» وابتسمت بسعادة بعد مرور قسم من الأمسية قضتها جالسة



إلى طاولة مليئة بالوجوه المألوفة وحيث الجميع يعرفون بعضهم بعضاً وكأنهم عائلة كبيرة.

من الذين كانوا يجلسون إلى مائدتهم ولا تعرفهم فقط الاستاذ وزوجته أما الباقي فكانت تعرفهم... بيتر، أحد منظمي الاحتفالات وزوجته فيونا وشقيقها إيان. والبروفسور العزيز هنريك الذي يجلس إلى جانبها ويحدثها عن كل ما قام به ورآه على الجزيرة. شعرت بريوني بمزاج رائع ووجدت الاحتفال فائق الذوق والجمال.

كانت تضحك وهي تقول: «أنا أموت من الجوع.» عندما رأت نساء يخرجن من باب المطبخ ويحملن أطباقاً ذكية الرائحة ثم تابعت: «إنه منذ وقت طويل لم أ...»

صمتت حين رأت امرأة تضع مئزراً على فستانها الزهري وتحمل صينية في يدها، كانت ايزابيل ماكلويد تتبع امرأة من المطبخ ولم يكن يبدو عليها السرور. ايزابيل تقدم الطعام؟

كانت ردة فعل بريوني الأولى، الدهشة! ثم نظرت إلى كايل الذي كان يتحدث مع زوجة المعلم ولم ينتبه بعد لإيزابيل ثم لاحقت بنظراتها ايزابيل وهي تعبر القاعة إلى الطاولة الموجودة في زاوية القاعة.

قال هنريك حين رأى ايزابيل: «آه نعم. إنها الآنسة الجميلة ماكلويد. إن والدها صاحب الفندق الذي أقيم فيه وأعتقد انه المسؤول عن تقديم الطعام هذه الأمسية. وكما أخبرني كايل أنه أمهر لاعب شطرنج على الجزيرة وأنا أتأمل أن ألعب معه قبل أن أترك بارا.»

قالت بريوني: «آه.» ونظرت إلى كايل الذي لم يبدُ مندهشاً لرؤية ايزابيل تخدم كنائلة.

لم تقترب من طاولتهم عمداً أو عن غير قصد لم تعلم بريوني، كل ما تتأمله هو أن يبقى الحال هكذا حتى انتهاء السهرة ولكنها كانت تعلم في داخلها أن الفتاة لن تستطيع البقاء بعيداً عن كايل... ولقد كانت على حق.

خلعت عنها المئزر واحمر وجهها وهي تقترب من طاولتهم للانضمام إليهم. لقد انضمت إليهم بعد الانتهاء من رقصتهم الثانية التي بدأت بعد الانتهاء من تناول الطعام وتركت بريوني محمرة الوجنتين مثل ايزابيل بالضبط ومتقطعة الانفاس من جراء الرقص.

عادت إلى مقعدها مع هنريك وأصبح كايل يجلس أمامها وليس إلى جانبها. وأندرو معلم المدرسة أخذ مكان كايل. أما ايزابيل فكانت تجلس بين كايل وبيتر. لم تتوقع بريوني من ايزابيل أن تتجاهل وجودها مثلما حصل معها سابقاً.

«مرحباً آنسة هيوارد، جميل أن أراك مجدداً.» كانت ترحب بها دون الشعور بالاحراج وهي تجلس إلى جانب كايل أمام زوجته.

وضعت بريوني كوب الماء على الطاولة وأجبرت نفسها على عدم النظر إلى زوجها. كان كايل ينظر اليها نظرة تحدي وكأنه يريدها ان ترفع رأسها وتراه، وعندما نظرت اليه خلسة رأت الابتسامة على وجهه، فقررت عدم النظر إليه وأشاحت بوجهها عنه.

كان أندرو يحاول التحدث معها حول الموسيقى.



ولكنها كانت تحاول التنصت على حديث كايل وايزابيل وهما يتكلمان بلغة الغاليك. استسلمت للواقع حين لم تفهم شيئاً من كلامهما واذعنت لسماع كلام اندرو. وعندما توقفت الموسيقى لم يكن هناك سوى صوت هنريك المرتفع الذي يتكلم عن رحلته إلى مينغولاي إلى بيتر.

قالت ايزابيل لكايل: «لقد سمعت أنها جزيرة جميلة ولكنني لم أزرها قبلاً.» ووضعت يدها على ذراعه فبدا الأمر لبريوني كأنها ترجوه أن يصحبها.

شاركت بريوني بالحديث: «ألم تريها؟ آه، كايل وانا زرناها مراراً. في الواقع نحن نستعد لرحلة أخرى في أقرب وقت عندما تكون أنا وكايل مستعدين لأننا لا نجد الوقت لذلك. أليس كذلك كايل؟»

لا بد وأن صوتها كان مرتفعاً لأن الجميع كان ينظر إليها فشعرت بالإحراج كأنها كانت تصرخ: «ابعدي يدك عن زوجي.» بأعلى صوتها.

كان الجميع ينتظر بتهذيب جواب كايل قبل العودة إلى متابعة أحاديثهم. ادارت وجهها إليه وقلبها يخفق بسرعة وتلاقت نظراتهما الحارة عبر الطاولة.

أخيراً اجاب كايل مؤكداً كلامها وهو يبتسم: «نعم.» وعاد الجميع إلى ما كانوا عليه. وتساءلت بريوني بقلق، هل أحرجته؟ هل وافق على كذبتها إرضاء لها؟

بعد مرور حوالي الساعة لم تكن ترغب بريوني سوى بالذهاب إلى المنزل. لقد تأخر الوقت كثيراً وأصبحت الموسيقى بطيئة.

قالت لهنريك: «اعذرني أرجوك هنريك.» حملت حقيبتها ووقفت قبل أن يسألها الرقص معه وقبل أن ينضم إليهما ايزابيل وكايل. لقد وقف كايل ليراقص ايزابيل كما اعتقدت ولكنها عندما مرت أمامه أخذ حقيبتها منها ووضعها على الطاولة ثم قال للموجودين حول الطاولة: «اعذرونا.» قادها إلى حلبة الرقص وشدها نحوه معانقاً إياها علناً.

لم يكن على الحلبة سوى أربعة راقصين أما الباقي فكانوا جالسين يراقبونهم. كانت بريوني منتبهة إلى العيون التي تراقبهما في البداية بعدها لم تعد ترى سوى كايل. خده على خدها ويده تعانق ظهرها... وجسمه ملتزقاً بجسمها يرشدها على الخطوات كالعادة ويشعل النار في أطرافها...

انها الطريقة التي رقصا فيها أول مرة... كانا يتحركان على انغام الموسيقى وكأنهما موجودان بين الازهار بالرغم من أنهما رقصا عدة مرات مع بعضهما من قبل ولكن ليس كالرقصة الأولى وليس كالآن. كانت تتذكر الماضي وتذوب بين أحضانه.

عندما انتهت الرقصة ابتعد عنها قائلاً: «أعتقد أنه علينا الذهاب إلى المنزل الآن ما رأيك؟»

اومأت برأسها موافقة. وانتبهت لعدم وجود ايزابيل في القاعة. حررت نفسها من ذراعه المحيطة بخصرها وأخذت حقيبتها لتذهب إلى حمام السيدات.

قالت له: «لن أتأخر.» ابتعدت عنه لتتمالك أنفاسها ولو لبضع دقائق.



وقفت أمام المرآة لتضع أحمر الشفاه بين الفتيات الموجودات. كانت عيناها تلمعان ببريق جذاب ووجهها دافىء أحمر اللون. إنه الحب. اقنعت نفسها بذلك.

انهت زينتها بسرعة واقتربت من الباب لتخرج، فإذا به ينفتح وتظهر ايزابيل أمامها.

قالت لها: «تصبحين على خير.»

أجابتها ايزابيل: «مع السلامة آنسة هايورد.»

ردّت عليها: «سيدة بوغانان في الواقع.» مصحّحة لها بحدة. إن كانت ايزابيل تعلم أنها ستغادر الجزيرة فلن يكون سوى كايل الذي أخبرها بذلك.

وعرفت ان هذا هو سبب سعادة ايزابيل. فبعد بضعة أيام ستخلى الساحة لها. بعدما تسافر بريوني.

وصلت إلى الطاولة حيث كان كايل واقفا أمامها مستعداً للذهاب، وسمعت كايل يقول لبيتر: «ها هي، عليك أن تسألها بنفسك.» ثم احاط خصرها بذراعه.

«يسألني عن ماذا؟» ونظرت إلى بيتر متعجبة.

إن كنت ستوافقين على تقديم بعض الجوائز للألعاب التي ستقام يوم الأحد؟»

قالت: «أنا؟» واحست بنفس اللحظة بالسعادة لأنه طلب منها ذلك، ثم تذكرت بأنها لن تكون موجودة استدارت نحو كايل مرتبكة وقالت: «ولكني لن...»

اقترح كايل عندها: «ربما من الافضل ان تتصل بك بريوني غداً وتخبرك؟»

«حسناً. سأترك الخيار لك. ستكونين مساعدة عظيمة ان

استطعت القدوم. على كل حال، اعلميني يوم الجمعة إن استطعت.»

ثم توجهوا جميعاً نحو الباب إلى حيث موقف السيارات. تقدمتهم بريوني مع زوجة بيتر حتى لا يمسك كايل ذراعها. لقد انتهى عرض المظاهر بالنسبة اليها.

«لماذا لم تخبره بأنني راحلة يوم الخميس؟» سألته وهما في السيارة أخيراً بطريق العودة إلى المنزل.

أجابها: «لماذا لم تخبريه أنت؟»

وسألت نفسها ذات السؤال، بالفعل لماذا لم تخبره؟ «أنا... أنا لم أشأ أن أخيب ظن بيتر الليلة ولكن بالطبع لن... أستطيع البقاء ليوم الأحد.» كانت تتكلم وكأنها تسأله سؤالاً.

أجابها: «إن الأمر يعود إليك.» وتابع ينظر إلى الطريق امامه.

إن الأمر يعود اليها من أجل ماذا، من أجل تمديد إقامتها حتى يستمر العرض؟ هل كان ذلك ما يقصده كايل... يريده؟ تنهدت بيأس وأرجعت رأسها للخلف واغمضت عينيها.

قال: «لا تقولي إنه الصداع مجدداً؟»

هل كان يسخر منها أو يغيظها فقط؟

فتحت عينيها ولجابت: «أنا تعبة، هذا كل شيء. وإن كنت تقصد بأنني رقصت كثيراً، فهذا ليس بصحيح. كنت أستمتع بوقتي فقط.» دافعت عن نفسها بكذبة من كذباتها.

«أنا سعيد بسماع ذلك. أنا أيضاً استمتعت بوقتي.»



من المؤكد انه استمتع بوقته بوجود امرأتين يحبانه حباً جماً. كيف لها أن تعلم كيف استمتع بوقته؟

ساد الصمت بينهما لبقية الطريق. ولم تنتظر حين أوقف السيارة حتى يطفيء المحرك لتترجل منها، بل خرجت من السيارة مسرعة إلى المنزل ثم إلى الطابق العلوي. سمعته يدخل مكتبه عندما دخلت الحمام لتغسل وجهها وتتهيأ للنوم.

كانت تشعر بالتعب من كل شيء... توقعاتها، آمالها التي تنتظر شيئاً من دون معنى كنظرة الاعجاب منه أو رقصة لأربع دقائق. تعبة من اصرارها بحدوث شيء غريب لتنقذ زواجها. لم تدرك هذا الأمر سوى بعد فوات الأوان. كانت حتى تعبة من كايل وألاعيبه بشعورها علناً. مما جعل الموجودين يقتنعون بمصالحتهما وانهما زوجان سعيدان. حتى هي اقتنعت بأنها ما زالت جزء من حياته ومن جزيرته. لماذا إذن طلب منها بيتر أن تفرق الجوائز؟ تكريماً واحتراماً لها، نعم ولكن فقط لأنها زوجة كايل بوغانان وليس لأنها بريوني هايورد. ولكن لن يضرها إن بقيت وساعدته.

وسخرت من نفسها، مساعدة بيتر؟ على من تضحك...؟ إن بقيت سيكون من أجل تمضية الوقت مع كايل ليتحدثا عن المزيد عن أعمالهما والطقس.

صوت غلق الباب أيقظها من نومها العميق. باب سيارة. انتظرت لتسمع صوت المحرك ولكنها سمعت بدلاً من ذلك صوت أقدام على السلالم ودخول كايل لغرفتها وهو مرتدي بنطال جينز وقميصاً قطنية سوداء.

كان لجوجاً وهو يتكلم: «صباح الخير بريوني. أنت مستيقظة حسناً. لقد رتبت كل شيء لذهابنا عندما تستعدين.»

حدقت بريوني به، فقال: «إلى مينغولاي.»

ردت: «مينغولاي اليوم؟ الآن؟»

قال: «سوف امهلك عدة دقائق إن كنت لا تمانعين.»

كلماتها التي تفوهت بها أمس في الحفلة لا بد وأنها بدت أسوأ بكثير عندما وجهت كلامها لايزابيل.

ابتسم كايل وسألها مجدداً: «هل ترغبين بالذهاب؟» كان سعيداً بموقفه الذي أخذها على غفلة منها. مثلما فعلت به أمس.

هل كانت تريد الذهاب...؟ الذهاب إلى مينغولاي لم يخطر ببالها بالأمس، أما الآن...؟ فهي ملزمة بأخذ قرار. أدركت أنها ترغب بالذهاب إلى تلك الجزيرة التي زارتها مع كايل ثلاث مرات خلال الثلاث سنوات الماضية في الصيف.

هزت رأسها موافقة: «نعم. أحب كثيراً أن أزور مينغولاي مجدداً.»

لم يستطع كايل ان يخفي ضحكته وهو يقول: «حسناً. القارب يرحل عند الساعة الحادية عشر والساعة الآن تجاوزت التاسعة بقليل. خذي معك ثياباً صوفية. أنت تعلمين كيف يتغير الطقس.»

«نعم حسناً.» وافقت على كلامه وهي عابسة تفكر. لماذا على كايل أن يدعم كذبتها مع أنهما بمفردهما ولا داع للمظاهر هنا؟ كانت تعرف مكانتها عند كايل وايضاً في الجزيرة وهي، ان وجودها مرفوض.



كان قد وضّب السيارة بأغراض كثيرة. معاطف واقية للمطر، طعام، قطعة سجاد للجلوس عليها. قالت له: «اذا كنا سنأخذ معنا كل هذه الاغراض، فسوف يضطر سيموس أن يحضر قارباً ثانياً.»

ضحك كايل من حديثها ولكن موراغ الواقفة إلى جانب النافذة بدت قلقة ومتمنية أن يكون الطعام الذي حضرته كافياً لهما. كما حذرتهما من أن يصابا بالبرد. لأن حرارة الجو منخفضة. أكدت لها بريوني بأنهما سيدفآ نفسيهما ويتخذان التدابير اللازمة.

سألت بريوني كايل: «هل أنت متأكد من أنك لم تجلب أغراضاً زيادة عن اللزوم؟ إن كل ما نحتاج إليه هو الجزم والطعام.»

كانا يقومان سابقاً برحلات مع السائحين ومحبي الطيور ومتابعتها من طيرانها من سان كيلدا في هبرايدن في الشمال إلى مينغولاي في الجنوب هرباً من البرد. وعندما توقف كايل عند الرصيف الممتد في البحر في كاستلبي توقعت بريوني أن ترى السائحين ومحبي ملاحقة الطيور.

كان الرصيف خالياً من الجميع ولا يوجد سوى بعض الصيادين الذين ينزلون السمك عن ظهر القوارب المخصصة للصيد.

تساءلت بريوني: «ولكن أين الجميع؟» استدارت إلى كايل بحيرة بعدما أفرغ السيارة من الأغراض وناول مفتاحها إلى أحد الصيادين حتى يعود بها إلى الطريق العامة ليوقفها.

سألها: «من؟»

أجابت: «السائحون الذين سيذهبون معنا بالرحلة؟»

قال: «ليس هناك من رحلة للسائحين اليوم. سيموس سيوصلنا بمفردنا في مركبه.» شرح كايل لها والدهشة مرتسمة على وجهها.

«فقط نحن؟» فكرت للحظة جنونية أنها سترى ايزابيل ماكلويد قادمة نحوهما لترافقهما.

أكد لها كايل: «نحن فقط.» حدق بها مجدداً وتابع: «وأنا أعتقد أنه تغير مفيد لنا إن ذهبنا لوحدنا دون ان يكون معنا اي سائح.»

«نعم، نعم، أعتقد ذلك.» تمتمت بريوني مندهشة منه لتنظيم هذه الرحلة فقط لأجلها، لأجلهما.

قال: «هل تودين أن تغيري رأيك ولا تذهبي؟» عرض عليها ذلك في آخر لحظة عندما كان سيموس يضع آخر غرض في المركب.

نظرت إلى القارب ثم اليه وضحكت: «كلا بالطبع لا. لماذا أغيّر رأيي؟»

كانت تستطيع أن تقدم له الأعذار التي تريدها لعدم الذهاب، ومنها توترها الذي تشعر به الآن وهي مع كايل لوحدهما.

عندما صعدت القارب بدأت تشعر براحة عظيمة. من المستحيل أن يبقى أي إنسان متوتراً في هذا الجو البديع والمناظر الخلابة. مرا بجزر صغيرة وصخور مغطاة بالقمات. كما رافقتهما طيور النورس المنتشرة فوق المياه الخضراء في الوقت الذي ظهرت فيه صخور جزيرة مينغولاي.



بعد مرور حوالي الساعة من مغادرتهما كاستلبي، كانت بريوني قد أسرت تماماً بتفكيرها المتواصل وتذكرها بأن الرجل الذي معها الآن ليس هو نفسه كايل الذي قامت معه برحلات سابقة إلى الجزيرة نفسها. إنه رجل مرتبك مغرور ولم تعد تعرفه جيداً وسيعود غريباً عنها عند عودتهما إلى منزل الريف.

www.elromancia.com

# الفصل التاسع

لم يكن هناك من رصيف أو ميناء ليرسو المركب عند شاطىء جزيرة مينغولاي. ومن المستحيل ان يرسو أي مركب على الشاطىء في فصل الشتاء، حتى الآن حاول سيموس التوقف عند حافة الرمل الوحيدة على الشاطىء الصخري للجزيرة، ولم يكن من السهل انزال الأغراض من القارب إلى الشاطىء.

شاطىء مهجور على جزيرة نائية، كأنهما في نهاية العالم، اجمل نهاية للأرض الواسعة وها هي وكايل السكان المؤقتين. وماذا يفعلان هنا؟ لوحدهما؟

بعد مغادرة سيموس في القارب، اخذت بريوني تتنقل مع كايل في انحاء الجزيرة بين بقايا الاثار الموجودة والاحجار القديمة، مكان مهجور ليس فيه سوى الأرانب والخراف التي يجلبونها للرعي من بارا.

كان كلما أمسك بيدها ليساعدها على هبوط أو صعود المنحدرات تشعر باشتياقها اليه... وتوقعت ان يضمها بين ذراعيه ويخبرها انه اتى بها إلى هذه الجزيرة النائية ليبقى معها بمفرده، وانه لا يتحمل الابتعاد عنها اكثر من ذلك! كان يتحدث معها بسرور ويرشدها بتهذيب ويخبرها قصصاً لطيفة ويعاملها كاليومين اللذين امضياهما معاً محجوزان في المنزل من شدة المطر.



بدا توترها لا معنى له في تلك الظروف، اخذا يحملان الأغراض إلى المنحدر المفروش عشباً في أعلى الجزيرة حيث تطل عليهما بيرناري آخر جزيرة في بلاد هبرايدن المهجورة منذ زمن.

«اعتقد ان موراغ حضرت من الطعام ما يكفي لجيش من السائحين.» قالت بريوني ذلك وهي تنظر بدهشة إلى صندوق الطعام... لحوم باردة، سلمون، بيض مسلوق، خبز، فاكهة وعدة زجاجات من العصير وأوعية القهوة وعدة أكواب.

ابتسم كايل وقال دون ان تبدو عليه الدهشة من تصرفات موراغ: «انت تعرفين موراغ.»

نعم، كانت تعرفها، تلك السيدة المحبة لهما تتوقع ان يعودا لبعضهما كالسابق، بقضاء فترة بعد الظهر بلقاء حميم لوحدهما. ولكن بريوني حزنت بشدة عندما شاهدت كايل يسير شارداً على الشاطىء منذ الآن، وكأنه ينتظر عودة سيموس...

استلقت على الأرض واغمضت عينيها فغفت، وعندما استيقظت وجدت كايل بجانبها مستلقياً على الأرض مستنداً إلى كوعه.

وعندما ابتسم لها رفعت يدها بعفوية كما كانت تفعل في الماضي حين تراه بجانبها يراقبها اثناء نومها، ولمست وجهه باطراف اصابعها مداعبة وجنتيه وانفه ثم ادركت ما كانت تقوم به، توقفت فجأة واشتبكت عيناها بعينيه لدقائق طويلة ينتظران ما سيحدث.

ثم وبكل هدوء وفيما عيناها تنظران في عينيه، عادت

تلاطفه وتلامس وجهه وشفتيه وهي تعلم تماماً ما تقوم به وكيف سيفهمه كايل، كانت تخبره بنظراتها انها تريده مع انهما لم يتصالحا ولم يتغير شيء بينهما وبالرغم من ذلك كانت تطلب منه بصراحة ان يضمها كأنها تستعمل كلمات من اجل ذلك.

انزلت يدها عن وجهه وقالت بصوت منخفض: «كايل...؟»

قال وهو ينحني عليها: «لا تتكلمي يا حبيبتي.» وقبلها بنعومة. اغمضت عينيها واستسلمت... ثم توقفت فجأة وحاولت نزع يديه عنها.

«كلا، كايل.» اعترضت ثم أدركت ما معنى اعتراضها فأسرعت لتشرح له.

نظر إليها مصدوماً مندهشاً، فقالت له موضحة: «آه، كلا لم اقصد ذلك. لقد عنيت سيموس بكلامي والقارب، متى سيأتي؟»

اجاب: «الثالثة والنصف.» ضحك من نفسه ثم نظر إلى ساعة يده وقال لها قبل أن تسأله: «الساعة الآن الخامسة والنصف.»

«ولكن هذا يعني...»

فأكمل عنها حديثها: «انه كان عليه ان يأتي منذ ساعتين. نعم، ولكن لاداع للقلق، انت تعلمين كيف يفكرون اولئك الرجال هنا.»

هزت رأسها موافقة. فتابع كلامه: «هذا معناه أن سيموس لن يعود قبل يوم غد.»

هذا لا يعني إلا انه سيعود غداً.



تفاجأت قائلة: «آه.» ثم حلت مكان المفاجأة راحة وسرور.

قال مبتسماً: «انت لا تمانعين بقاء الليلة هنا، أليس كذلك؟»

واظهرت تعابير وجهها ما تشعر به تماماً تجاه قضاء الليلة لوحدها معه على الجزيرة.

بعدها بقيت مستلقية بجانبه وذراعيه يحيطان بها. تعجبت من نفسها كيف تركت شكوكها وظنونها وخيال ايزابيل يهدد سعادتها ويقف بين مصالحتها معه؟

ناما على ذراعي بعضهما تحت الغطاء وخيم الظلام حولهما.

وعندما استيقظت عند نور الصباح وجدت نفسها وحيدة. جلست خائفة حتى رأت كايل يسبح في الماء قرب الشاطىء. فضحكت على مخاوفها التي صورت لها انه تركها.

راقبته لفترة ثم ارادت الانضمام اليه. فتوجهت نحوه بعدما وضعت سترتها عليها ووصلت إلى الرمل على الشاطىء.

ناداها: «تعالي، تعالي إلى هنا.» بينما وقفت وقدميها في الماء الباردة التي لا تدفئها الشمس في اي وقت من السنة.

قالت مبتسمة: «كلا سأنتظرك هنا.» ثم عادت وجلست على السجادة التي وضعها كايل بالقرب من المنشفة والأغراض.

كان سابحاً ماهراً ويستمتع بالماء، بينما هي كانت تخاف المياه والسباحة. راقبت عضلاته وهو يسبح

ويغوص في المياه الهادئة، ثم تقدم نحوها فشعرت بالفخر والاعتزاز به، لقد كان جسده جميلاً، لذلك لم يهتم كايل كثيراً بطبيعة ملابسه، جسمه القوي والجميل التكوين كافياً ليتحدى أي بدلة أنيقة. على عكس بقية الناس رجالاً أو نساءً، بحاجة إلى الثياب الثمينة لتكمل شخصيتهم وثقتهم بنفسهم.

لا احد يعلم ذلك اكثر منها، انها تعمل في مجال الأزياء اكثر من غيرها وتفهم ما الذي تفكر به، فجأة تذكرت ايزابيل ماكلويد وانها لو ارتدت ابشع الثياب ستبقى جميلة وانيقة والنظرات تلاحقها.

التقط كايل المنشفة ونشف جسمه قبل ان يلفها حول خصره ويجلس إلى جانبها: «صباح الخير يا حبيبتي. انا مشتاق اليك مجدداً.» اخبرها بذلك وهو يبتسم لها بحب.

وضعت يديها على وجهه وشعرت بشعيرات ذقنه القاسية براحة كفيها. لقد اشتاقت اليه هي ايضاً.

انزل كايل يديها وقال لها: «سوف تجرحين نفسك يا حبيبتي.» ومر براحة كفه على ذقنه وتابع: «لم افكر بجلب عدة الحلاقة معي، انا آسف.»

ضحكت من جوابه وقالت: «لا اتخيل معظم الرجال يجلبونها عند قضائهم فترة بعض الظهر في رحلة يا كايل. ارجوك ارتدي قميصك ان الطقس ليس دافئاً حتى تأخذ حمام شمس.» طلبت منه ذلك كالزوجة المهتمة بزوجها.

فعل كايل ما أمر به وقال لها مبتسماً: «هل هذا افضل؟ بماذا كنت تفكرين وانا قادم اليك؟ لقد بديت بعيدة في افكارك تنظرين الي وانت شاردة وكأنك...»



اكدت له ضاحكة: «لقد كنت انظر اليك.»

اجابها: «هذا يريحني لقد اعتقدت للحظة انني رجل غير مرئي.» اسند نفسه على كوعه وتمدد بجانبها ثم سألها: «بماذا كنت تفكرين؟»

«لا شيء مهم، فقط عن طبيعة الاجسام والثياب التي يرتدونها، وكيف ان بعض الناس بحاجة إلى الثياب الانيقة والغالية الثمن والبعض الآخر ليس بحاجة إليها... حتى تعطيهم شخصية مميزة.»

وتابعت باهتمام: «بالطبع بعض النساء جميلات ولسن بحاجة لمثل هذه الثياب حتى يصبحن مرغوبات، أليس كذلك؟» وجدت نفسها تنطق بالكلمات بالرغم منها.

سألها: «نساء مثل من؟»

بقيت بريوني صامتة فتابع مصراً: «مثل...» ثم جلس منتبهاً متيقظاً.

قالت: «نساء مثل ايزابيل ماكلويد.» في النهاية وبدون ان تنظر اليه، كانت تلف ركبتيها بذراعيها وتحدق بالماء امامها خائفة من النظر اليه حتى وضع كايل يده على ذقنها وادار وجهها نحوه.

قال: «هل تحاولين سؤالي ان كان لدي علاقة عاطفية مع ايزابيل؟»

حين قرأ الجواب في عينيها، انزل يده عن وجهها وقال: «هل انت متأكدة يا حبيبتي انك تودين التحدث عن ذلك الآن؟ فان الجواب ليس بسيطاً ولا هو أجل أو لا.»

اعتقدت بريوني انها فهمت قصده، لو كان جوابه النفي لانتهى الحديث بكلمة واحدة... وان كان جوابه ايجابياً

فسوف يتابعان تفاصيل الأمر وستكون مؤلمة. ولكن نفي العلاقة بينهما ليس جواباً بسيطاً ليقوله كايل ويؤكد لها ان مخاوفها لا أساس لها من الصحة، ولكنه اخبرها وبدون شك كم يحبها. أليس ذلك كافياً لها؟ عليها القبول بالواقع. فما كان منها إلا ان عانقته قائلة: «ضمني إلى صدرك يا كايل، ارجوك.» كانت تقصد اكد لي حبك مرة أخرى.

• • •

وصل سيموس عند الساعة الثالثة والنصف في الوقت المحدد ولكن فقط بفارق اربع وعشرين ساعة. ضحكت بريوني وهي تراقب القارب يقترب منهما.

ابتسمت له ابتسامة مشعة وهي تنزل الماء وتبلل ركبتيها حتى تصعد إلى القارب. وقالت له: «مرحبا سيموس، آمل انك لم تقلق من اجلنا، كنا بأمان.»

قال: «كنت متأكداً انكما بأمان يا سيدة بوغاتان، بما انني لم اسمع من قبل بان احداً قد تعرض للقتل بواسطة الأرانب على جزيرة ميتغولاي قبلاً.» وضحك من النكتة التي تفوه بها.

كانت تجلس بالقرب من كايل الذي يحيطها بذراعه وتراقب الجزيرة النائية تبتعد عنهما شيئاً فشيئاً وهي تشعر بسعادة لم تعهدها من قبل.

لقد عاد كايل اليها، كانت مغرمة بزوجها ولا تهتم لمن يعلم بالأمر... سيموس بلطفه وابتساماته... الصيادون على الرصيف في كاستلبي... الناس الذين رأوهم على الطرقات عندما وصلا لأخذ السيارة حتى يضعا الأغراض فيها.



فهمت موراغ على الفور ما حدث من نظراتها الثاقبة وعينيها المحبتين عند وصولهما إلى منزل الريف وبدت سعيدة بهما.

«لم تقلقي علينا يا موراغ أليس كذلك؟» سألتها بريوني ذلك وهي تفرغ الأغراض من السيارة.

قالت: «آه، كلا يا ابنتي، ولكن هل الطعام كان كافياً؟»

اجابت: «كافياً لاسبوع، شكراً.» اكدت لها بريوني وهي تتبادل الابتسام مع كايل.

قالت موراغ بلهجة عتاب: «ولكنكما لم تتناولا شيئاً منه. انه يبدو كما وضبته.»

وعندما دخلت بريوني المطبخ قالت موراغ لها: «عليك ان لا تمشي وشعرك مبللاً بالماء، ستصابين بألم في اذنيك هكذا.»

قالت بريوني: «لقد انتهيت لتوي من الاستحمام.»

لمعت عينا موراغ وقالت: «سأعد لك الشاي الآن قبل البدء بتحضير العشاء... ستبقين الليلة هنا أليس كذلك؟»

اجابت: «نعم.»

قالت لها: «ولن ترحلي مجدداً، أليس كذلك يا حبيبتي؟» ومدت يدها تلاطف وجنتيها بعاطفة.

ردت بريوني: «انا ملزمة يا موراغ ان اغادر في نهاية الأسبوع المقبل، فقط لأسبوعين... حتى انهي عملي في لندن.»

شرحت لها ما لم تشرحه بعد وتقوله إلى كايل.

كانت تنتظر اللحظة الملائمة، لم تتحدث عن وصول السفينة اليوم لا هي ولا هو ولكن بعودتها إلى لندن... مهما

طال وقت وصولها... فلن تخبره عنها الآن، كانت تأمل ان يرافقها كايل حتى لا يفترقا مجدداً.

«ما الأمر يا موراغ؟»

سألتها بريوني ذلك عندما رأتها فاتحة فاهها.

اجابتها: «آه، ان ذاكرتي اصبحت ضعيفة، عندما تحدثت عن عملك ذكرتني بان السيد سوندرس اتصل بعدما غادرت البارحة. ولقد اخبرته انك لن تعودي حتى اليوم وطلب مني ان اخبرك عنه حتى تتصلي به حينما تصلين.»

قالت: «هل هذا كل شيء؟ لقد جعلتني اقلق... اعتقدت انه شيء مهم، وهو ليس سوى العزيز ديريك يبحث عني ومتشوق لسماع صوتي.» ضحكت بريوني وهي تتصور ديريك غاضباً لانها لم تتصل به لتعطيه تقريراً عن مجموعته الثمينة وتابعت: «انني مندهشة لعدم حضوره شخصياً حتى الآن.»

«كما فعل في السنة الماضية تقصدين؟» استدارت موراغ نحو الصوت الثاني القادم من الباب في الوقت الذي كانت بريوني تفتح فمها لتتكلم. نظرت بريوني اليه ورأت كايل واقفاً كالغريب على مدخل الباب. لقد تركته منذ ربع ساعة في غرفته وكان محباً وسعيداً.

ضحكت وخاطبته: «حبيبي، كل...» بدأت تشرح له تعليقاتها ثم توقفت عند سماعها صوت اغلاق الباب الذي دفعته موراغ عند مغادرتها المطبخ والدخول إلى شقتها.

عادت تقول من جديد: «كايل كل ما قصدته كان...» وسكتت عن الكلام.

بدأ كايل يقول: «انه لا يستطيع ان يبقى من دونك؟ نعم،



هذا ما صرحت به منذ دقيقة، وتتوقعين قدومه في اية لحظة الآن أليس كذلك؟ مثل السنة الماضية عندما أتى ليقنعك بالعودة إلى لندن؟ كان يبحث عنك حينذاك أليس كذلك؟ عندها لم ادرك شيئاً.» ثم ابتسم لها ببرودة وتابع: «على كل حال، اصبحت الآن مدركاً للأمور بشكل افضل.»

ما كان جواب بريوني سوى ان تحرك رأسها نفياً وتقول: «انت تتكلم بلا تفكير يا كايل.» عارضت حديثه بسخط وغضب وهي تتابع: «ان ديريك ليس بحاجة إلى اقناعي للعودة، انت تعلم بأنني لم اكن انوي ترك عملي حينذاك، ليس حتى نفتح لمنتوجاتنا مكاناً في السوق الأميركي.»

قال: «بالطريقة التي استعملتها لتدخلي السوق الفرنسي، هل هذا ما تقصدينه؟» كان يتكلم عند نكره فرنسا، كأنه يوجه اليها اتهامات تثير الجدل حول سفرها. تابع موضحاً كلامه: «كان ذلك الاتفاق الذي عقدته في شهر آذار (مارس) اليس كذلك؟»

قالت: «كلا، لم يحصل ذلك في شهر مارس بل قبل ذلك.» وشعرت بأن شيئاً سيئاً سيحدث ولكنها لم تعلم ما هو.

كانت نظراته تنطق بالحقد والكراهية والغضب يظهر على وجهه وهو يحدثها بقوله: «آه هل هذا ما حصل؟ إذن الرحلة إلى باريس في شهر آذار (مارس) ما هي سوى مناسبة خاصة لك ولديريك سوندرس؟ احتفال بمناسبة خاصة وشخصية في ذلك الفندق الرائع؟ نعم، لقد سافرت إلى باريس بنفسي.»

كشر عن انيابه عندما اندهشت من حديثه وتابع: «كما

ترين، لقد اقنعت نفسي بأنني كنت غير عادل معك وأنني ظلمتك بتسرعي بالاستنتاج حول أهمية عودتك إلى لندن. حتى عندما وجدتك مع ديريك في شقتنا تعملين براحة وهناء من اجل المجموعة الجديدة. ورفضك في إدارة العمل من بارا... كنت اقنع نفسي بأنني مخطىء بشأنك وشأنه حتى وصلت إلى باريس.»

كل الأشياء الغريبة والتصرفات العجيبة التي مرت بها اصبح بالامكان سبر غورها ومعرفة اسبابها، هل يعتقد بأنها على علاقة غرامية مع ديريك؟ هذا ما قصده كايل؟ لا بد وأنه كذلك. بقيت جامدة مكانها تحدق غير مصدقة كل ما تفوه به.

اخيراً رددت بضعف: «باريس...؟ انت جئت إلى باريس؟»

«حينما عدت من زيارة هنريك في النروج وعلمت انك اتصلت بي، نعم اسرعت لاعتذر منك عن عدم ثقتي وظنوني بك طيلة الستة اشهر. ولكني لم احظ بالفرصة. على كل... لم تكن رحلتي غير مفيدة لأنني تأكدت من اني لن أبقى دائماً محتاراً بشأنك وشأن ديريك العزيز، والذي اكد لي وجود السيدة هايورد والسيد سوندرس في الغرفة ذاتها.»

قالت محتجة: «ولكنها ليست غرفة بل جناح فيه عدة غرف و...»

قاطعها بتهذيب وببرودة قاسية: «آه، يكفي هذا ويوجد اتساع في الجناح لي حتى لأنام على الكنبة. انا افهم ان الجميع، اقصد الطبقات الراقية في لندن وباريس متمدنين وحضاريين ووجودكما معاً في جناح واحد يرمز إلى التطور. انما نحن لدينا تقاليدنا القديمة ولسنا متطورين



لذلك فأنت بلا شك لا تستطيعين ان تبقي هنا وتنتظرين بفارغ الصبر أن تغادري. ولكنك ما زلت مغرمة بي كما اظهرت ذلك بوضوح في جزيرة مينغولاي.»

ثم تقدم منها خطوة فتراجعت إلى نهاية المطبخ وراء الطاولة. فقال لها: «لا داع للخوف يا بريوني لن افرض نفسي عليك، ان اليوم الذي امضيناه في مينغولاي كافياً لي لوداعك.»

وانهى حديثه بضحكة ساخرة، كانت كلماته تقع عليها كالسياط المؤلمة... لم تعد قادرة على المعارضة أو الشرح له، ثم جمعت قواها وقالت: «لقد دبرت كل شيء، لقد أوقعتني بالمصيدة.» لم تكن تسأله.

كانت متأكدة بالطبع من انه قد دبر وقوعها بين يديه، ولو لم تكن عمياء بآمالها وسعادتها لكانت علمت ما يدور في فكره. الأغراض التي اخذها معه إلى الرحلة... وايضاً جواب موراغ لديريك بعدم رجوعها إلا اليوم. كان الجميع عالماً بما يدور سواها. لقد خطط لها ووضع شباكه ووقعت كالحمقاء فيها. الجميع علم بقضاء ليلتها على الجزيرة وكان عليها ان تعلم ذلك لولا حبها الأعمى لكايل.

«لقد دبرت كل شيء عمداً.» رددت كلامها غير مصدقة ما حصل لها.

همس قائلاً: «نعم.»

اجابت: «من أجل ان... انا... نحن...»

قال: «صحيح من اجل ما سنقوم به...»

قالت: «بسبب اعتقادك بأن ديريك وانا..؟» لم تستطع انهاء حديثها. لقد لعب كايل بمشاعرها وعواطفها حتى

يسجل هدفه، حتى تدفع ثمن خيانتها له مع ديريك. لابد ان ظهر على وجهها ما كانت تشعر به من مرض واشمئزاز. لأن تعابير وجه كايل تغيرت فجأة واختفت ابتسامته الباردة اللئيمة.

قالت له: «لن اسامحك ابداً من اجل ما فعلته يا كايل. مطلقاً.»

تقدم منها فجأة كأنه نادم على كلامه: «بريوني... كلا... أنا...»



# الفصل العاشر

لم تنتظر بريوني لتستمع إلى باقي كلامه. اسرعت بالخروج من المطبخ ومن المنزل ثم قادت سيارة كايل حيث كان المفتاح فيها، أما مفتاح سيارتها فكان فوق في غرفتها.

مفتاح في السيارة! يا للغرابة... وفكرت في الفرق بين عالمها في لندن والعالم هنا في بارا. كانت تفكر أن تبتعد عنه الآن قدر المستطاع.

ساعات من القيادة تبعدها عنه مئات الأميال. في بارا لا تصل إلا إلى التلال أو إلى شاطىء البحر. لم يكن هناك طريق للخروج من الجزيرة لم يكن يوجد طريق لتذهب إليها، لذا صممت أخيراً على التوجه إلى كاستليبي، حيث استقبلت بصوت العزف على المزمار، الموسيقى الآتية من القاعة الداخلية.

أمسية أخرى واحتفالات لأناس يستمتعون بوقتهم ولا أحد يهتم لما يحصل لها ولعالمها. حتى القصر يقف صامداً في البحر كأنه يسخر منها ومن أحلامها بمستقبل زاهر مع كايل. أحلامها كالقصور في الهواء التي اعتقدتها مبنية على الحب، الحب الذي اعتقدته عاد في مينغولاي.

الحب...؟ خدعة قاسية. وكم سهلت عليه الأمر. لقد أحبته وأرادت بيأس أن تظهر حبها له. لا تستطيع إنكار ذلك ولا للحظة ولم يكن لديها شروط. لم تطلب

www.elromancia.com

اي ضمانة لحبها أو مصالحة مسبقة أو توضيح لأي شيء من الماضي وكايل لم يعرض عليها شيئاً من هذا.

اظهرت حبها بعفوية رائعة، هكذا شعرت وصدّقت... هكذا ما أرادها كايل أن تصدق... بينما هو ببرودة يحاسبها ويوقعها عن سابق تصميم ليحطمها. كانت تخاف من أن لا تسامحه مطلقاً لما فعله. ويا للغرابة مما شعرت به، لو أنه اتهمها فقط بتلك العلاقة عن دافع غيره وغضب منه لكانت سكتت، لأنه مهما كان اتهامه مؤلماً على الأقل ستكون اتهاماته مبنية من دافع حبه لها.

لكن مهما بلغ الحب الذي يكنه لها، فقد اختفى حبه الآن. ولو أرادت برهاناً لذلك، لا يوجد برهان أقوى من وجود سيارته في موقف ناد ماكلويد أمامها.

ليست سيارته لأنها تقودها الآن بل سيارتها الهوندا البيضاء التي اضطر لاستعمالها حتى يصل لايزابيل هذا المساء غير مهتم بالمظاهر لا سيما وأن زوجته ما تزال على الجزيرة.

أوقفت السيارة امام سيارة الهوندا وتركت المفتاح فيها. كانت تنوي قيادة سيارتها، فجأة انفتح الباب واعتقدت للحظة أنه كايل.

«مرحبا بريوني. ان كايل ليس معك؟ إذن تعالي واشربي العصير معي.» اغلق بيتر الباب وأمسك ذراعها. ثم سألها: «هل كايل سيأتي لاحقاً؟ أريد التحدث معه بأمر يتعلق بالاحتفال.»

قالت: «إنه هنا.» مشيرة إلى المبنى وهي تسحب ذراعها



من يده الممسكة بها بشدة وتابعت: «لم آتي إلى هنا... أقصد لقد توقفت فقط... أريد ان أسترد سيارتي.» واحست بالاحراج وهي تتابع: «انظر بيتر، أنا أفضل عدم الانضمام اليكم الآن. أنا... أنا لا أرتدي ما يناسب المكان.» وحاولت مجدداً الاعتذار منه.

كانت ترتدي بنطلون جينز وقميصاً قطنياً وشعرها المنسدل قد نشف الآن بعد مرور ساعات من القيادة. ولكنها بدت لا بأس بها لاحتساء الشراب في النادي.

رد عليها: «لست مرتدية المناسب من اجل ماذا؟ أنت في بارا الآن ولسنا معتادين إلا على البساطة هنا كما تتذكرين. في جميع الأحوال أنت تبدين رائعة كعادتك.» انهى بيتر كلامه ثم قادها إلى القاعة حيث كان الضجيج الصاخب مختلطاً بالأصوات والضحكات.

نظر حوله وقال لها: «لا يبدو كايل هنا.» أكد لها بيتر بعدما نظر إلى الموجودين: «هناك ايزابيل ولا بد انها تعلم أين يكون.»

فكرت بريوني، اجل بالطبع. كيف تم قبول أهالي الجزيرة بتلك العلاقة القائمة بين ايزابيل وكايل. بيتر متأكد من ان ايزابيل تعرف مكان وجود كايل. لم تكن بريوني ترغب بمقابلة ايزابيل ولا كايل. وكم تفاجأت عندما أسرعت ايزابيل نحوهما راغبة بالتحدث إليها بدلاً من التهرب منها.

قال بيتر: «مرحبا ايزابيل، هل رأيت كايل بالجوار؟ ان بريوني أتت لتنضم إليه وهي تتساءل أين اختفى؟ هل تعلمين..؟»

ارتعبت بريوني عند سماعها بيتر يتكلم عنها ويضع الكلمات في فمها. نظرت إلى ايزابيل ناكرة كلامه.

أجابت ايزابيل: «إنه في غرفة الجلوس الخاصة يتصل بمنزل الريف، سوف أصحبك إليه.» كانت ايزابيل تتكلم بهدوء وحزم.

آه، لا. إنها تعتقد أنني جئت لارتكاب فضيحة وهي لا تريدها علناً بل في الداخل. شعرت بالذل يشعل وجنتيها كأنها لاحقت كايل فعلاً لتتجسس عليه.

هزت رأسها: «كلا، آه، كلا.» كانت بحاجة للتمسك بكرامتها التي احست بأنها ستخسرها: «كلا شكراً ايزابيل، ان الأمر ليس ضرورياً. ولن أبقى أكثر من ذلك. لقد كنت في طريقي إلى مكان آخر ولم أكن أبحث عن كايل مطلقاً.» وتراجعت إلى الوراء للخروج قبل مجيء كايل.

أخيراً قال بيتر: «ألم تكوني تبحثين عن كايل؟ إذن بدوت أنا وكأنني اختطفتك.» وبدأ بالضحك مازحاً: «ولكن بما أننا هنا هل نستطيع ان نناقش ألعاب يوم الأحد لدقيقة. أقصد حفلة تقديم الجوائز؟»

قالت: «آسفة سوف أكون قد غادرت الجزيرة في هذا الوقت. فأنا عائدة إلى لندن غداً وعليّ الذهاب إلى المنزل لأوضب أغراضي. ربما ايزابيل تستطيع مساعدتك؟»

ابتسمت لهما وهمّت بالخروج دون أن تعلم مكان اتجاهها.

غداً ستسافر مهما كانت الظروف حتى إن لم يكن يوجد مقاعد خالية. ستسافر على متن طائرة صغيرة وتترك سيارتها لتشحنها في السفينة أو تدعها في بارا. لم يعد



يهمها أمر شيء... كل ما يهمها هو الخروج من الجزيرة. ولكن غداً السفر... وعليها قضاء الليلة في منزل الريف. لم تعد تتحمل القيادة داخل الجزيرة أو التوقف أمام الشاطىء لتراقب الجزر الصغيرة. ستمضي ليلتها في السيارة، لكن عليها العودة إلى المنزل فقط لتوضيب أغراضها. قادت الهوندا وعادت إلى الطريق الذي يوصلها إلى الرصيف الممتد في الماء الذي كان خالياً كباقي الموانىء الصغيرة على الجزيرة.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء ولم يكن هناك من احد على الطرقات كالعادة. كان الهدوء مهيمناً على المكان وهي تجلس في سيارتها تتأمل البحر وهي شاردة الذهن. فجأة سمعت صوت إغلاق باب سيارة وصوت خطى أقدام تتجه نحوها.

علمت أنه كايل لا بد وأنه كايل. ترقبت وانتظرت لتسمع ابتعاد الخطوات عنها، لكن بدلاً من ذلك سمعت صوت كايل يقول: «أين كنت؟ لقد بحثت عنك في جميع أنحاء الجزيرة وتركت لك رسائل في كل مكان وكنت اتصل بموراغ كل عشر دقائق لأسأل إن عدت إلى المنزل.»

ادارت بريوني عينيها نحوه وحدقت به صامتة. تابع كلامه: «ألا تدركين كم كنت قلقاً عليك وخائفاً من حدوث شيء ما يضرك؟»

كايل قلق! وغاضب لما سببته له من قلق! جعلها كلامه ترغب بالضحك. ضحكت ثم في اللحظة التالية بكت دون السيطرة على نفسها: «لم استطع الذهاب إلى أي مكان، لم أستطع الخروج من الجزيرة.»

جلس كايل بجانبها وعانقها. لم تشعر بريوني سوى بالأمان بين ذراعيه، وهي لم تكن ترغب بهذا الشعور. عليها مغادرة بارا وكايل... الذي لم تعد تعرفه ولن تسمح له بأذيتها مجدداً.

ادارت وجهها بعيداً وحاولت الابتعاد عنه ولكنه رفض رفع ذراعه عنها.

قالت له وهي تكرر محاولتها للابتعاد عنه: «أنا بحال جيدة الآن شكراً. سوف أسافر غداً بالطائرة، لذا...»

شدها كايل نحوه بقوة وقال: «لا أريدك أن تسافري يا بريوني ليس غداً ولا في أي وقت. أنا أحبك.» قال كلامه بكل بساطة مما جعل خفقات قلبها تشتد.

رفعت وجهها نحوه: «كلا.» قبل أن تصدقه وتبني آمالها على كلامه: «كلا كايل، أنت لا تحبني. كيف تقول ذلك؟ بعدما صدقت كل الاشياء السيئة التي فكرتها بي؟ بعدما حصل في مينغولاي...» الرجفة في صوتها بدت وكأنها تتوسل... وتطلب توضيحات أي شيء حتى تستسلم وتصدقه. وتقتنع بالرغم من كل شيء أنه كان يحبها. كيف يمكن ان تبقى منجذبة اليه...؟ لأنها تحبه وليس هناك من شيء تستطيع أن تقوم به.

حررت نفسها منه وبدأت تسير على الرصيف بسرعة وهي تتهمه قائلة: «أنت عمدت أن تجرحني.»

تبعها وأمسك بها فيما كانت تتابع كلامها: «لقد أوقعت بي فقط من أجل العاطفة... عواطفك، لأنك اعتقدت بأنني سأعود إلى ديريك و...» كانت تبكي بيأس بدلاً من اتهامه واغضابه.



تغيرت تعابير وجه كايل بعد سماع كلامها القاسي وقال: «صحيح أنني أوقعت بك ولكن ليس من أجل هذا كما تعتقدين. بل لأنني أحبك ولأجعلك تعترفين لي بأنك تحبينني أيضاً. وحتى نتصالح ونزيل المشاكل التي بيننا. وهذا ما اعتقدته لحين سماعك تقولين لموراغ ما قلته وقفزت إلى استنتاجاتي بسرعة. نعم أعلم أنني مخطىء في استنتاجاتي.» اعترف كايل بسرعة قبل أن تقاطعه: «لقد أدركت ذلك من انفعالك ووجهك وكان يجب عليّ أن لا أظلمك. ولكن ما أفقدني صوابي هو كلامك لموراغ حين وصفت ديريك بالعزيز.»

قالت: «لم يكن هناك أية علاقة عاطفية بين ديريك وبيني. ولا في اي وقت من الأوقات، مطلقاً. ولا حتى قبل معرفتي بك.» أضافت بريوني بحماس لتؤكد له قولها ولتمحي ظنونه: «لا يربطني به سوى العمل فقط.»

ابتسم كايل وقال: «حبيبتي أنا أعلم أنه لا يوجد أي رجل في حياتك وانك لم تخدعيني مع أحد. وصدقيني أنني لم أشك باخلاصك لي بعد الزواج، لذلك كانت صدمتي قوية عندما رفضت العودة إلى بارا والمكوث معي.»

وقفا صامتين للحظات يتأملان القصر والشاطىء. وهما شاردا الذهن علمت عندها بريوني أنها السبب في ظنون كايل وشكه بها.

اعترفت له ببساطة: «اعتقدت أنك لم تعد تحبني ولا تريدني.» أمسك وجهها بيديه وقبلها فجأة قبلة حنونة ليؤكد لها حبه، ولكن صورة ايزابيل ما زالت في ذهنها.

أخبرها أخيراً: «لم أتوقف يوماً عن حبك والرغبة بك.» عندها فقط أدركت أنهما يقفان على الرصيف أمام أعين المارة. وتابع: «وعندما عدت إلى بارا الاسبوع الماضي كانت جميع حركاتك توحي بأنك ما زلت تحبينني وتريدينني.» ثم عانقها وأحاطها بذراعه حول كتفيها ليعود بها إلى الطريق حيث تركن السيارة: «إن جسمك كان يقول لي كلما لمسته أنك ترغبين بي. ولكني كنت بحاجة لأكثر من ذلك منك. بعد كل ظنوني كنت بحاجة إلى ان تقومي بحركة تجاهي لتقولي لي بنفسك وفي الوقت الملائم بأنك تحبينني وتعدينني بالعودة إلي إلى الأبد. ولأكون صريحاً معك أكثر كنت سأبقيك هنا معي بطريقة أو بأخرى حتى تعترفي بحبك.»

استطاعت بريوني الابتسام الآن وهي تقول: «لهذا دبرت لي رحلة مينغولاي؟»

ضحك وهو يفتح الباب لها: «نعم، وأنا نادم لأنني لم أنهي الموضوع هناك بيننا، ولكن بما يخصني فإن الماضي لم يعد يعني لي شيئاً في ذلك الوقت ولم أجد داعي لأن أثير الموضوع مجدداً فيما كنا سعيدين على الجزيرة. لذا تركت مشاكلنا القديمة لشأنها وفتحت صفحة جديدة.»

مشاكلنا... بالجمع، وليس مشكلته هو فقط. لقد عاد ودمجها في حياته.

صعدا في سيارته وهو يقول: «سنترك سيارتك وسوف يأتون بها في الغد.»

نظرت إليه وصعدت السيارة وهي تشعر بتوتر. لقد انتهيا من مناقشة علاقتها بديريك وتوضحت الأمور بينهما. ولكن



ماذا بشأن علاقته بإيزابيل؟ ولكن الأمر لم يعد يهم، كايل يحبها ولم تعد تشك بذلك. ولكن ماذا لو عاد إلى ايزابيل؟ عليها أن تتأكد حتى لا يبقى خيال ايزابيل يزعجها كلما تراها.

توقف كايل عند مكتب البريد فجأة واستدار نحوها قائلاً: «لم ننتهِ بعد أليس كذلك؟ انظري إليّ يا بريوني.» طلب منها ذلك وهي تحدق أمامها تراقب الناس وهم يتحضرون للعودة إلى منازلهم بعد قضاء أمسيتهم في المطعم.

نظرت إليه بانهزام لعلمها أنه شعر بتوترها وعرف بالذي يجول بذهنها.

قال لها مؤكداً انه عرف ما كانت تفكر به: «لم يكن لي علاقة غرامية مع ايزابيل ماكلويد.»

قالت: «لم أفكر بأنك...» بدأت تعترض كلامه: «أقصد أنا فقط... كنت أتساءل وحسب...» بدأت كلامها بشبه اعتراف.

ابتسم كايل قائلاً: «بعد ظنوني بك، أنا لست بموقع يسمح لي بالعتب واللوم. ولكن يا حبيبتي مهما كانت ظنونك فليس لها أسس صحيحة. نعم لقد ظهرت كثيراً مع ايزابيل ولكن فقط لقضائي وقتاً طويلاً ألعب الشطرنج مع والدها الذي انتقل للعيش في بارا مع عائلته. ولقد انتقل إلى هنا ليبعد ايزابيل عن هاريس وما يتعلق بالبلدة من ذكريات بعد أن غرق خطيبها في حادث قارب للصيد السنة الماضية.»

احست بريوني بالصدمة فقالت: «آه كلا. يا للفتاة المسكينة، لم أكن أعلم.»

قال لها شارحاً: «وكيف لك أن تعلمي من دون التحدث

معها؟ فهي لا تتكلم بالموضوع مع أحد. في الواقع حدثتني به ربما لأنها تشعر بالأمان معي بعدما تأكدت بأنني الرجل الوحيد على الجزيرة الذي لم يغازلها أو يتقدم منها لغاية في نفسه.»

صدقته بريوني بسرور. ولكنها عادت وتنكرت نظرات ايزابيل الباردة نحوها. فقالت له: «ولكنها لم تتقبلني.»

«تتقبلك؟» ردد كايل بدهشة: «من أين جئت بتلك الفكرة؟ في المطار؟ ليلة حفلة التايتس وهيرنغ...؟ كانت المرة الأولى التي رأيتما بعضكما فيها، أليس كذلك؟ آه وحفلة السلتيك أيضاً.»

قالت: «هناك مناسبة أخرى أيضاً. عندما تناولت العشاء مع مارتين في النادي. لقد رأيناها هناك.»

قال: «آه.» كأن كل شيء قد أصبح واضحاً له: «مع مارتين غون... الرجل الوحيد على الجزيرة الذي تهتم به ايزابيل وعلى استعداد لاقامة علاقة معه. وأنت ظهرت وجذبت نظره إليك. الفتاة المسكينة كانت تراودها أفكار حولكما.»

كل شيء أصبح واضحاً الآن وعرفت سبب عدم غيرة كايل من مارتين. عدلت بريوني عن أخباره كيف يفكر به مارتين وبايزابيل أيضاً. لم يعد الأمر مهماً. قالت له: «لقد صممت مجموعة هبرايدن وجعلت ايزابيل تبدو في تصاميمي كعارضة.» اعترفت كأنه سرها الصغير.

ابتسم لها وقال: «نعم أعلم، لقد رأيت الرسومات عندما تركتها في جيب معطفي. لما لا تريها رسوماتك؟ إنها عظيمة وسوف تعجبها.»

تمتمت بريوني: «نعم، من الممكن أن أقوم بذلك.» وفكرت



لاحقاً باقناع ديريك أن يوظف ايزابيل عارضة عنده، إن هي ايزابيل وافقت على ذلك.

قبلها قبلة خفيفة وقال: «هذا يكفي، سوف اصطحبك إلى المنزل الآن.»

وبينما هو ينطلق بالسيارة كاد أن يصدم الرجل الذي ظهر فجأة أمامه: «كيف يفعل بيتر هذا؟ يرمي بنفسه أمام السيارة تحت العجلات.» أنزل زجاج النافذة وصرخ قائلاً لبيتر: «هل تحاول الانتحار؟»

اقترب بيتر من النافذة: «آسف بشأن ما حصل ولكنني أردت التحدث إليك. لقد راقبتكما تسيران على الشاطىء ولم أشأ ازعاجكما عندها.» علمت ما يعنيه لقد شاهدهما وهما يتعانقان ويقبلان بعضهما... شعرت بالاحراج. فتابع كلامه: «بخصوص يوم الأحد بما أن بريوني ستغادر بارا غداً، أردت أن...»

قاطعه كايل: «بريوني لن تغادر غداً، من الذي اوحى اليك بهذه الفكرة؟»

ارجع بيتر رأسه عن نافذة السيارة واحس بالسعادة تضيىء وجهه، فقال: «اعتقد أني سمعت ذلك من أحد ما، ربما الكلام الذي سمعته خطأ.»

أكد كايل باختصار: «خطأ كلياً.»

نظر بيتر إلى بريوني ثم ابتسم قائلاً: «في هذه الحالة ستستطيعين تقديم الجوائز يا بريوني...؟»

قالت: «نعم، شكراً لك لاختياري.»

حين سارا بالسيارة وتركوا بيتر واقفاً خلفهم سألته بريوني: «هل أنت الذي دفعت ببيتر حتى يسألني؟»

ظهرت دهشة كايل على وجهه فسألها: «كلا، ما الذي دفعك لقول ذلك؟»

اجابته: «اعتقدت... حسناً، عندما أصريت على ذهابي معك إلى تايتس وهيرنغ ذلك المساء، اعتقدت أنك طلبت من بيتر أن يقوم بذلك. وبأنها طريقة من طرقك حتى تبقيني على الجزيرة على الأقل حتى يوم الأحد.»

هز رأسه نافياً: «كلا، لم أفعل هذا. بيتر طلب منك لأنه أراد ذلك. لأنك جزء من هذا المكان... وهذا هو الأمر الذي أرغب أن أثبته لك... لهذا أصريت على ذهابك معي لتري بنفسك أنك تابعة لهذا المكان وتابعة لي.»

فكرت بمعنى كلامه للحظة وقالت: «لقد أردت بقائي وفعلت ما عليك.»

قال: «ليس بالضبط، لقد قمت أيضاً بالكذب عليك. إن السفينة التي قلت عنها انها سترحل مع الخراف لم تكن حقيقة. كنت سترحلين يوم الثلاثاء الماضي ويوم السبت كانت السفينة خالية ويوجد أمكنة كثيرة لتغادري على متنها ولكني حينذاك أخبرتك بأنه لا يوجد مكان. حتى لو اتصلت بنفسك لتقومي بالحجز... كنت مصمماً على ثقب جانب السفينة حتى لا تبحر. لم أكن أنوي أن أتركك تغادرين يا حبيبتي.»

• • •

«كايل؟»

«نعم.»

مدت بريوني اصبعها تلاطف وتتداعب وجهه ورقبته، اقترب كايل وأمسك بها.



ابتعدت عنه وقالت: «كلا يا حبيبي أريد أن أتحدث معك.»

كان الوقت صباحاً وقد استيقظت على قبلاته لقد أمضيا نهار أمس على جزيرة مينغولاي وعادا تعبان من هذه النزهة الطويلة. لذا عادا فوراً إلى البيت وناما وهما يعلمان أن لديهما الوقت كله أمامهما... للحب والعيش بسعادة وامان...

جلست مستندة على الوسادة، فقال لها: «أنا أستمع يا حبيبتي.»

قالت: «علي الذهاب إلى لندن يا كايل. فقط لعدة أسابيع.» وراقبت تعابير وجهه. لم تتقلص عضلاته نتيجة كلامها وطلبها. عليها بلطافة: «أنا أعلم.»

تابعت كلامها دون تفهم قاله، لفترة وجيزة: «فقط لانهاء العمل وأرى مجموعة هبرايدن... إذن أنت لا تمانع.»

جلس بجانبها: «كلا بما أنني سأذهب معك لأبقى حتى تنهين عملك. هل هذا ما كنت تريدين اخباري به.» ابتسم لها وهو يداعب وجنتها.

قالت: «حسناً نعم... لا، كايل أنا أرغب بالاستمرار في عملي... سوف أنطلق من هنا من بارا وأنا أعني ما أقول وسأباشر من هنا.»

قطّب حاجبيه كأنه لم يفهم كلامها. تذكرت عندما عبس في وجهها ذات مرة وهي تطالبه بالسفر والعودة إلى لندن لانهاء عملها وانتهى حديثهما حينذاك في مناقشة حادة وغاضبة.

قال: «بالطبع ستباشرين عملك وكيف لك أن تتوقفي؟ إنه جزء منك. أنت امرأة موهوبة. بالطبع أريدك أن تستمري. إن

الموهبة خلقت للاستعمال والتنمية وسوف تتوسعين إلى آفاق جديدة في عدة اتجاهات عندما يحين الوقت.»

قطّبت بريوني حاجبيها وسألت: «اتجاهات جديدة؟ أية اتجاهات يا كايل؟»

«كنت أفكر بمجالات جديدة لك. مثل ملابس الأطفال. عليك التوقع في المستقبل القريب للعمل في هذا المجال أليس كذلك؟»

اكدت وهي تبتسم له: «ممكن جداً. وستكون أفضل مجموعة من تصاميمي التي قمت بها.»

تـــمـــت

www.elromancia.com